

بلاغت السرد القصصى

فى القرآن الكريم

بحث مقدم من

محمد مشرف خضر

المدرس المساعد بقسم اللغة العربية

لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب

إشراف

الأستاذ الدكتور

محمد عبد المطلب مصطفى

أستاذ النقد الأدبى والبلاغة

بكلية الآداب - جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور

عبد الرحيم محمود نراط

أستاذ الأدب العربى

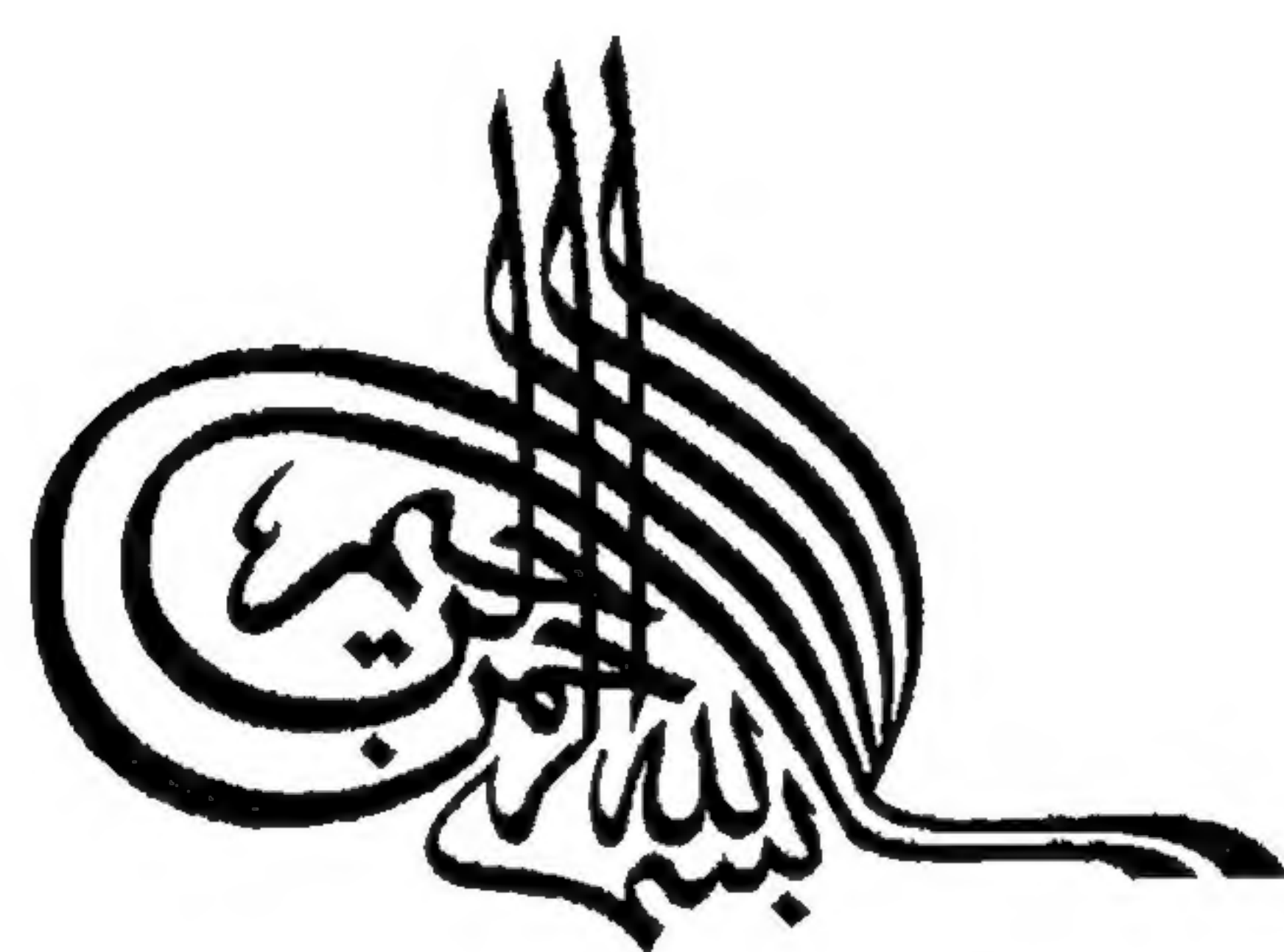
بكلية الآداب - جامعة طنطا

الأستاذ الدكتور

مختار جبلى

أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة باريس ١٠

ومدير أبحاث بجامعة السربون الجديدة



مقدمة

البحث عن الخصائص المميزة للقصص القرآني ، هاجس قديم ، لم يتركني قط ، إلا وتملكني من جديد ؛ كلما مرت بي قصة من القرآن ، أشرعت قلمي متحفزا ، ثم سرعان ما يذهب الحماس مع الكلمات الأولى ، التي لا تنبئ بجديد غير ما قدم الآخرون . وكنت مقتنعا دائما بضرورة تغيير منهج النظر في القصة القرآنية ، ليؤتي بنتائج جديدة ، لن تكون هي الأخرى غير اجتهادات تنضاف إلى غيرها ، ولما كان المنهج السائد في هذا الصدد هو المنهج الانطباعي ، الذي يحاول الباحث من خلاله تفسير مشاعره تجاه القصة ، أو تقديم انطباعاته حولها ، مما يوقع - كما يقول الدكتور محمد عبد المطلب - في خطر التعامل مع النص بما عند المتلقى لا بما في النص (مناورات الشعرية ص: ١١) ؛ فكان التغيير يعني إيجاد منهج مغاير في طبيعته للمنهج السائد ، منهج لا يعطي انطباعات ذاتية ، بقدر ما يقدم من حقائق علمية ؛ منهج يتعامل مع النص من خلال معطياته الداخلية ، قبل أن يقحم عليه مقاييس غريبة عنه .

وكان هذا كله ينطبق على المنهج البنيوي ، منذ بداياته لدى الشكليين الروس Les Formalistes Russes الذين تحدثوا في شروط الأدبية ، متسائلين عما يجعل من عمل ما عملا أدبيا ، ودارت من ثم دراسات كثيرة حول هذا المحور ، لكنها لم تكتمل إلا في منتصف الستينيات تقريبا مع الشكلية الجديدة ، التي تتجلى في مجموعة المقالات المهمة التي تضمنها العدد الثامن من مجلة Communication وكان صدوره في فرنسا عام ١٩٦٦ يمثل فتحا جديدا في مجال الدراسات الأدبية ، وبعثا لروح الدعوة القديمة (لدى الشكليين) إلى الدراسة العلمية للأدب ، ومنذ ذلك الحين بدأ العمل حثيثا من أجل الوصول إلى منهج علمي صارم ، تخضع له الأعمال الأدبية ، وتُرى من خلاله ؛ ولكن الأدب بطبيعته يرفض الخضوع لصرامة منهج أيا كان ؛ فكانت تلك الدراسات تمثل اجتهادات متناثرة ، يجمع بينها الاهتمام الواضح بالبنية النصية للحكى .

وتستمر الاجتهادات ، ولكنها هذه المرة تسعى نحو هدف آخر ؛ هو التخلص من الصرامة العلمية التى سادت مع الشكلية الجديدة (البنيوية) ومع بداية السبعينيات ظهرت نتائج محققة فى هذا الصدد ، وبدأ الحديث عن الشعرية La poétique التى تهتم بجماليات الإبداع الأدبى ، وتلغى الحد الفاصل بين البنية ومحتواها ، وظهرت أعمال فى تحليل الخطاب السردى ، تُعنى بدراسة كيفية ظهور مكونات النص ، وخصائصها المميزة ، التى يتميز من خلالها عمل أدبى عن آخر ، هذه الأعمال تجتمع لتكون ما يمكن أن نسميه بالمنهج السردى البنيوى ؛ لاهتمامها بتحليل السرد من ناحية ، ولقيامها على المنهج البنيوى من ناحية أخرى .

ورأيت أن هذا المنهج فى صورته تلك ، ونظرا لاعتماده الأساسى على وصف مكونات العمل الأدبى - هو منهج ملائم لتلك الرغبة الملحة فى دراسة القصة القرآنية ؛ بخاصة وأنه لا يصادر أدبية العمل ، مما يفتح المجال (المحدود بطبيعة الحال) أمام الانطباعات الذاتية للظهور ؛ وكانت المرحلة التى استقر عليها المنهج لدى كل من Todorov و Genette من العوامل التى حفزتنى على الشروع فى هذا البحث " بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم " .

وحين بدأت العمل ، كان فى ذهنى خاطر واحد ، هو : البحث عن الخصائص الأدبية الكامنة فى النص القصصى القرآنى ، باعتباره نصا أدبيا فحسب ؛ أحاسبه على هذا الأساس ، واشتغل عليه من هذا المنطلق ؛ لكننى أبدا لم أفلح فى هذا ، ولم أوفق إليه ؛ كانت هناك دائما منطقة مقدسة ، عندما أصل إليها لا أستطيع التحرك ؛ أتوقف ، وأستغفر الله ؛ وأعود لأبدأ من جديد .

وإذا كانت الشعرية تلغى الحد الفاصل بين النص ومحتواه ، فإننا فى هذا البحث سنفصل بينهما فى محاولة لفهم تلك الوحدة فى العمل الأدبى ، الذى نتناوله من خلال مظهره : من حيث هو قصة ، ومن حيث هو قول أو خطاب .

وهكذا فقد جاء البحث فى قسمين أساسيين ، درسنا فى القسم الأول : القصة القرآنية بوصفها متنا حكايا ، بما يعنى مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها ، وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص ؛ وكان هذا يتطلب منا أن نعود إلى أوائل هذا القرن ، لنراجع مع " فلاديمير بروب " منهجه فى دراسة القصة ، بدءا من ضرورة الاعتماد على بنائها الداخلى ، وانتهاء إلى ما كان يطمح فى الوصول إليه ، من وصف للحكاية وفق مكوناتها الأساسية ، وعلاقة هذه المكونات ببعضها من ناحية ، وأحدها بالآخر من ناحية أخرى . ودراسة المتن الحكائى تدور حول محورين : المحور الأول - الأحداث ، التى احتفظنا لها بتسمية بروب " الوظائف " أى الأفعال التى تقوم بها الشخصيات ؛ والمحور الثانى - الشخصيات التى تقوم بهذه الأحداث أو تؤدي هذه الوظائف ، وما بينها من علاقات ، ودوافع تدفعها إلى فعل ما تفعل .

وحين بدأت فى تجميع الوظائف وتفصيلها ، ربما كان هدفى من وراء ذلك هو الوصول إلى تركيب نهائى تنمهى فيه تلك الوظائف لنتج القصة الكاملة من خلال متتاليات الوظائف المختلفة ، ولكن النتيجة كانت على غير ما توقعت ؛ فجاءت كل متتالية وظيفية تعطى قصة وحدها ، يختلف هدفها عن غيرها من المتتاليات الوظيفية ، فكان من المستحيل أن نعيد توزيع الوظائف ، بعد أن نخرجها من سلاسلها لنجعل منها قصة مكتملة كما كنت أتوقع ، فإن الأمر هكذا يصبح ضربا من السذاجة ، ومن ثم فقد اكتفيت فى الفصل الأول من البحث بأن أحدد هدف كل متتالية وظيفية ، معتبرا استقلاليتها ، وكان اختلاف تلك الأهداف مؤشرا واضحا على تغير قصدية القصة من سياق إلى آخر .

وفى القسم الثانى ، درسنا القصة القرآنية بوصفها خطابا ، ذا شكل خاص يتوجه به سارد إلى مسرود له . وقد تناولنا هذه الخصوصية من خلال المنظومة الثلاثية : الزمن ، والصيغة ، والرؤية السردية ؛ حيث تنشأ خصوصية الزمن من العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب ؛

وخصوصية الصيغة من الشكل الذى يأخذه التنوع الخطابى فى النص ؛ وخصوصية الرؤية السردية من العلاقة بين المتكلم والنص .

وفى طول الدراسة كان عملنا منصبا على القصة القرآنية فى شكلها الأساسى ، كما وردت فى الكتاب الكريم ، أما ما سوى ذلك من تأويلات مختلفة حفلت بها كتب التفسير ، فلم يكن لنا به إلا علاقة الاستضاءة فحسب ، وهذا ليعنى بحال أننا أهملنا تلك الكتب ، بل على العكس كانت أمامنا دائما ، خشية الوقوع فى دائرة الخطأ التى حذرنا منها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، حيث قال فيما يرويه الترمذى : " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ " وكان اعتمادنا فى الأساس على : تفسير القرآن العظيم ، وقصص الأنبياء لابن كثير ، والتفسير الكبير للرازى ، وروح المعانى للألوسى ، والكشاف للزمخشري ، والظلال لسيد قطب ، والأساس فى التفسير لسعيد حوى ... ولكن طبيعة البحث كانت تفرض علينا دائما العودة إلى النص القرآنى ؛ فهو بحث فى بنية القصة القرآنية ، يبدأ منها وينتهى إليها ؛ محاولا - قدر إمكانه - تقديم وصف دقيق لها ، من خلال اعتماده على آليات البحث السردى .

وبعد فالحمد لله أولاً وآخراً ، ونرجو لهذا البحث أن يكون خالصا له وحده ، ونستغفره من زلة وقعنا فيها بغير قصد ، ونتوب إليه .

ويبقى أن ننسب الفضل إلى أهله ؛ فنقول إن حسنات هذا البحث ، إن لم أسئ أنا إليها ، كانت بفضل توجيهات أساتذتى الذين أشرفوا على هذا البحث ، ورعوه ، ورافقوه خطوة خطوة منذ ميلاده حتى استوائه : الأستاذ الدكتور عبدالرحيم زلط ، والأستاذ الدكتور مختار جبلى ، والأستاذ الدكتور محمد عبد المطلب

تمهيد

" بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم " بحث فى القصة القرآنية التى حظيت بدراسات لاحصر لها ، وأنا إذ أتصدى لهذا البحث أمل أن أقدم جديدا ؛ وفى سبيل ذلك كان ثم هاجسان : الأول - استيعاب المنهج السردى البنيوى ، والآخر - هو التعامل مع النص القرآنى .

فمنذ عهد قريب جدا بدأنا نسمع عن بلاغة السرد ، وبدأت منذ ذلك الحين بعض دراسات تظهر على استحياء متوسلة بهذا المنهج ، الذى هو وريث شرعى للبنيوية التى طغت فيها الصرامة العلمية على الروح الأدبية ؛ فكانت الشعرية La poétique من ثم تمثل عودة محمودة نحو الأدبية ، أو البحث فى جماليات النص الأدبى .

وتعود نشأة الشعرية إلى بدايات هذا القرن ، حين نادى بها الشكليون الروس علما جديدا للأدب ، موضوعه هو أدبية الأدب ، أو ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا على حد قول جاكوبسون ^(١) . وقد اجتهد الشكليون فى البحث عن الأنساق البنيوية فى الحكاية ؛ مثال ذلك ما فعله " بروب " فى كتابه " مورفولوجيا الحكاية الخرافية " ^(٢) الذى درس فيه الحكاية اعتمادا على بنائها الداخلى ؛ بتفكيك بنيتها ، واستنباط العلاقات التى تربط مختلف

(١) Roman Jakobson, Huit questions de poétique, tr. Fr. Paris, Ed. du Seuil, coll. Points, 1977, P.16 وانظر فى تعريف الشعرية :

محمد عبد المطلب : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، القاهرة ، لونجمان ، ١٩٩٥ ، ص: ٨٩
(٢) يمثل هذا العمل ذروة إنجازات البحث الشكلى ، وواحدا من أكثر المساهمات الشكلية فعالية فى نظرية الأدب القصصى . انظر Paul Perron : فى مقاله : السردية : حدود المفهوم ، ترجمة عبد الله إبراهيم ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد الثانى ، السنة ١٢ ، ١٩٩٢ ، ص: ٢٧ ، وفى العدد نفسه : Roger Silverstone فى مقاله : فى السرد (من وجهة نظر بروب وغريماس وليفى شتراوس) ترجمة كاظم سعد الدين . ويعقد Jean-Michel Adam فصلا فى كتابه Le récit يتحدث فيه عن تأثير كتاب بروب فى المسار المعرفى الغربى ، وذلك منذ ظهور أول ترجمة له فى أمريكا بعد ثلاثين عاما من تأليف صاحبه له . انظر ص: ٥ - ٨ ، ٢٤ - ٢٩ .

الوظائف الحكائية فى مسار قصصى معين ؛ ومن ثم استنتج ما سماه المثال ، أو النموذج الوظيفى ؛ حيث رأى أن الحكاية تحتوى على عناصر ثابتة هى أفعال الشخصيات ، أو الوظائف التى تقوم بها ، وأخرى متغيرة هى أسماء وأوصاف تلك الشخصيات ؛ أما الوظائف فهى المهمة ، وهى التى تمنحنا فى النهاية البنية الوظيفية للحكاية ، أو النموذج الوظيفى ؛ وأما أسماء وأوصاف الشخصيات فتأثيرها هامشى ؛ المهم هو ما تقوم به الشخصية ، لا الشخصية نفسها .

وقريب من ذلك نجد تمييز " توماشفسكى " - المهم جدا - فى العمل الحكائى بين ما سماه بالمتن الحكائى ، والمبنى الحكائى ، حيث يسمى " متنا حكايا مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها ، والتى يقع إخبارنا بها خلال العمل وفى مقابل المتن الحكائى ، يوجد المبنى الحكائى الذى يتألف من نفس الأحداث بيد أنه يراعى نظام ظهورها فى العمل كما يراعى ما يتبعها من معلومات " (٣).

وسوف يتضح لنا مدى أهمية هذا التمييز الذى وضعه توماشفسكى بين المتن الحكائى والمبنى الحكائى حين نصل إلى السردية المعاصرة ، أوحين نأخذ فى التحليل السردى للقصص القرآنى ، حيث يمثل التمييز بين المتن الحكائى والمبنى الحكائى فى القصة مرتكزا أساسيا لا يمكن للبحث أن يقوم بدونه .

ومنذ ذلك الحين بدأ ما يمكن أن نسميه الدراسة العلمية للأدب ، لكن لم يكتب لها الاستمرار - لأسباب سياسية ، ترجع إلى علاقة الشكليين بالسلطة الروسية آنذاك - إلى أن جاء البنيويون فى منتصف القرن ، فأخذوا تراث الشكليين وظلوا به إلى أن وصل على

(٣) نظرية المنهج الشكلى : نصوص الشكلايين الروس . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٢ ، ص : ١٧٩ .

أيديهم ، فى وقت قصير جدا ، إلى مكانة ربما لم يكن يحلم بها أصحابه أنفسهم ؛ يتجلى هذا فى العدد الثامن من مجلة Communication سنة ١٩٦٦ الذى يضم أسماء مثل Barthes و Todorov و Genette فنرى " Barthes " فى مقاله " مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص " يستعيد عمل " بروب " ويعتمد عليه فى مستوى الوظائف الذى اقترحه ضمن مستويات تحليل السرد ؛ فيقول : " ونقترح للتمييز فى العمل السردى بين مستويات ثلاثة من الوصف : مستوى الوظائف (بالمعنى الذى يعطيه كل من بروب و Bremond للكلمة) ومستوى الأفعال (بالمعنى الذى يعطيه لها Greimas عندما يتحدث عن الأشخاص بوصفها فواعل) ومستوى السرد الذى يمثلته مستوى الخطاب عند Todorov " (٤) والوظائف عند Barthes على طبقتين : توزيعية Unités distributionnelles وهى تتوافق مع وظائف " بروب " التى أعاد Bremond استخدامها حديثا ، وهذا النوع يحتفظ له Barthes باسم " الوظائف " وهناك أخرى إدماجية Unités intégratives وهى وحدات معنوية ؛ لأنها - كما يقول - تحيل على مدلول وليس على فعل ، ومن ثم فلا تحتاج فى إدراك دورها إلى فعل لاحق ، وهى على العكس من الأولى تكثر فى أنماط السرد الأكثر تعقيدا ، بينما الأولى فتكثر فى الحكايات الشعبية (٥) . وعلى عكس " بروب " يرى Barthes أن التسلسل المنطقى - لا الزمنى - بين الوظائف ، والوحدات الحكائية هو الذى ينبغى أن يكون الأداة الحقيقية لدراسة تركيب الحكى (٦).

ونجد " Todorov " معتمدا على تمييز توماشفسكى السابق بين المتن ، والمبنى فى العمل الحكائى ، يميز هو الآخر بين القصة ، والخطاب ، ويرى أنه لفهم وحدة العمل ذاتها

(٤) Roland Barthes, Introduction à L'analyse structurale des récits , Paris , éd .du Seuil, coll.Points,1981,P.12

(٥) Ibid.P.14

(٦) Ibid.P.18

ينبغي عزل هذين المظهرين ، والبحث في مكونات كل منهما ؛ فدراسة السرد من حيث هو قصة تعنى دراسة منطق الأفعال الروائية ؛ إذ إن تتالي الأفعال لا يكون اعتباطيا في سرد ما ، إنما يخضع لمنطق معين ^(٧) ، فينبغي البحث عن هذا المنطق . وهذه الأفعال تقوم بها شخصيات ينبغي كذلك دراسة العلاقات فيما بينها . أما السرد بوصفه خطابا فيفرق Todorov طرائق الخطاب بين مجموعات ثلاث : زمن السرد الذى يعنى البحث عن العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب ؛ ومظاهر السرد أو الكيفية التى تدرك بها القصة من طرف السارد ؛ وصيغ السرد التى تتوقف على نوعية الخطاب المستعمل من قبل السارد فى نقل القصة ^(٨). وبذلك ساهم فى تحقيق البرنامج الطموح للشعرية الجديدة المتمثل فى التوصل إلى تصنيف مجرد لمقولات ثابتة للسرد ^(٩) .

وكذلك " Genette " لا يبعد كثيرا عما فعل " Todorov " من اعتماد على تراث الشكاليين الروس ، و " توماشفسكى " بخاصة ، مستعينا كذلك بتمييز " بنفيسيت " بين القصة والخطاب ، لوضع نظريته فى تحليل السرد التى يتضمنها كتابه " خطاب الحكاية " فيبدأ بتحديد المصطلحات التى يقترحها : فيطلق اسم القصة على المدلول ، أو المضمون السردى ... واسم الحكاية على الدال ، أو المنطوق ، أو الخطاب ، أو النص السردى نفسه ، واسم السرد على الفعل السردى المنتج ، ومن ثم يرى أن مستوى الخطاب السردى وحده من بين المستويات الثلاثة هو الذى يقدم نفسه مباشرة للتحليل النصى ^(١٠) . وتحليل الخطاب

(٧) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, Communications n8, éd. du Seuil, coll. Points, 1981, P. 137

(٨) Ibid.P.144 - 145

(٩) انظر : روجيه فابول : نحو علم للأدب ، اتجاهات النقد المعاصر ، ترجمة محمد خير البقاعى ، مجلة العرب والفكر العالمى ، العدد السابع ، بيروت ١٩٨٩ .

(١٠) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972, P. 72 - 73

السردى كما يرى : هو فى الأساس - دراسة العلاقات بين الحكاية والقصة ، وبين الحكاية والسرد ، وبين القصة والسرد (١١) .

وينطلق " Genette " من اقتراح " Todorov " الذى سبقت الإشارة إليه ، والذى يصنف مسائل الحكاية إلى ثلاث مقولات : الزمن ، وفيه يدرس العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب ، ومقولة الجهة (مظاهر السرد) أو الكيفية التى يدرك بها السارد القصة . ومقولة الصيغة ، أى نمط الخطاب الذى يستعمله السارد وهو وإن كان يتبنى مقولة الزمن كما هى عند " Todorov " فإنه يرى أن يعدل كثيرا فى المقولتين الآخرين ، بحيث إنه " يجب إعادة تجميع ما كان يوزعه Todorov بين الجهة والصيغة ، فى مقولة واحدة ضخمة نسميها مؤقتا مقولة أنماط التمثيل أو درجات المحاكاة " (١٢) .

وإننا وقد حاولنا استيعاب نظريات السرد لكى نتمكن من التعامل مع النص القصصى القرأى ، فإننا نعترف أنه من الصعوبة بمكان أن نقول إن ثمة منهاجا بعينه نستطيع من خلاله تحليل القصة القرأية ، فإننا منذ الشكليين الروس (إيخنبوم ١٨٨٦ - ١٩٤٨ ، وتوماشفسكى ١٨٩٠ - ١٩٥٩ ، وتينيانوف ١٨٩٤ - ١٩٤٣ ، وجاكوبسون ١٨٩٥ - ١٩٣٨ ، وشكلوفسكى ١٨٩٣ - ١٩٨٤) وسعيهم الدؤوب وراء البحث عن الخصائص النوعية للأدب ، ومن ثم اهتمامهم بدراسة الأعمال الإبداعية فى ذاتها دون النظر إلى ما هو خارجى عنها ... ومرورا بأعمال البنائيين الذين اهتموا بالتحليل البنىوى للحكى كما رأينا مع أصحاب مجلة Communication حتى نصل إلى " Genette " وكتابه : " خطاب الحكاية " الذى يمثل دون شك مرحلة متميزة فى تاريخ تحليل الخطاب الحكائى ، و ثم من تلاه مقتفيا أثره كشلوميت كنعان فى كتابها " التخيل القصصى : الشعرية المعاصرة " وميك بال فى مقال

(١١) Ibid.P.74

(١٢) Gérard Genette, Ibid.P75

لها حول " السرد والتبئير (Poétique 29) أو من تلاه ناقدا إياه ومعيبا عليه بعض هنات وقع فيها في كتابه المذكور ؛ مما دعاه لأن يضع كتابه " الخطاب الجديد للحكاية " سنة ١٩٨٣ يرد فيه عليهم ، وأيضا يراجع فيه نفسه ، ويعدل من آرائه .

كل هذا ، وكثير غيره ، يزيد الأمر صعوبة ، وبخاصة حين لانجد اثنين يتفقان في طريقة التحليل ، بل كل شخص تؤثر عليه معارفه ، وتخصصه (١٣) ... مما يوحى بأننا أمام عدة مناهج في التحليل ، وهذا يتطلب منا أن نحدد اتجاهنا بصرامة من البداية ؛ فنرى أن نمسك بالخيط منذ الشكليين الروس ، ومع بروب حيث سنعتمد منهجه في دراسة القصة من حيث هي محكي ، بدءا من ضرورة الاعتماد على بنائها الداخلي ، وانتهاء إلى ما كان يطمح في الوصول إليه من " مورفولوجيا " أو وصف للحكاية وفق مكوناتها الأساسية ، وعلاقة هذه المكونات ببعضها من ناحية ، وأحدها بالآخر من ناحية أخرى ؛ ثم مع الشكليين الجدد نعمق بحث الحكاية من خلال Barthes ، وتصوراته حول التحليل البنيوي للقصص ، وتمييزه بين المستويات الثلاثة : الوظائف ، والأفعال ، والسرد ، المترابطة فيما بينها ترابطا اندماجيا تصاعديا ، إذ الوظيفة تفصح عن دلالتها في حقل الفعل ، الذي لا يكون بدوره ذا معنى إلا ضمن الخطاب الذي يغذيه بشفرته . وكذلك من خلال تصور Todorov الذي قدمه في دراسته لمقولات الحكى ١٩٦٦ والذي ميز فيه - من ناحية السرد القصصى من حيث هو محكى ، أو من ناحية دراسة المتن الحكائى بتعبير توماشفسكى - بين مستويين ، هما : منطق الأحداث ، من جهة ، والشخصيات وعلاقاتها ، من جهة أخرى .

(١٣) يقول ميشيل فوكو بهذا الصدد : " إننا لا نستطيع بحق تحديد البنيوية كمنهج ، ذلك لأنه من الصعب جدا ملاحظة وجه الشبه بين الطريقة البنيوية لتحليل القصص الشعبية عند بروب وبين طريقة تحليل الأنساق الفلسفية عند جيرو ، أو وجه الشبه بين تحليل الفنون الأدبية عند فرايد وأمريكا وبين تحليل الأساطير عند ليفي شتراوس . " وذلك في محاضرة بعنوان " البنيوية والتحليل الأدبي " ألقاها بنادى الطاهر الحداد في تونس عام ١٩٦٧ ، ونشرت بترجمة محمد الخماسي ، في مجلة العرب والفكر العالمى ، العدد ١ ، لعام ١٩٨٨ . وانظر أيضا ، زكريا إبراهيم : مشكلة البنية ، طبعة مكتبة مصر ، بدون تاريخ ، ص : ٢٤

أما من ناحية السرد القصصى من حيث هو خطاب ، فأمامنا التصور الذى قدمه Todorov كذلك فى مقولات الحكى ، والمتمثل فى المنظومة الثلاثية للتحليل السردى - من حيث هو خطاب - وهى : الزمن ، والجهة ، والصيغة . هذه المنظومة التى تبنّاها Genette فى كتابه " خطاب الحكاية " ووصل بها إلى درجة من الوضوح والاستقرار ، تجعلنا نعتمد عليها فى شىء من الاطمئنان ، مستضيئين ببعض التجارب العربية التى سلكت هذا المسلك ، مثل : " تحليل الخطاب الروائى " لسعيد يقطين ، و " تقنيات السرد الروائى - فى ضوء المنهج البنيوى " لحكمت الخطيب ، و " بناء الرواية " لسيزا قاسم ، و " نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة " لنبيهة إبراهيم ، و " تداخلات الرؤية والسرد والمكان " لمحمد عبد المطلب ، وكذلك دراسة صلاح فضل عن " أساليب السرد فى الرواية العربية " وأمينة رشيد فى دراستها عن " نشطى الزمن فى الرواية الحديثة "

ونرى أن نحدد المصطلحات التى سيأتى استعمالها فى الدراسة . أولها السرد ، وهو يقابل La narration فى الفرنسية الذى يعنى المنطوق السردى لحكاية ما سواء أكان شفاهيا أم كتابيا (١٤) ، ونجد فى لسان العرب فى مادة سرد " السرد فى اللغة مقدمة شىء إلى شىء تأتى به متسقا بعضه فى إثر بعض متتابعاً . سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه ... والسرد المتتابع " وهناك السرد القصصى ونحن نعهده مقابل Le récit فى الفرنسية ، أى الطريقة التى تُروى بها القصة . وفى مادة قصص فى لسان العرب نقراً " ويقال : قصصت الشىء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شىء " وهذا قريب مما قيل فى السرد مع اختلاف قليل هو أن السرد يحتمل أن يكون قصصيا أو غير قصصى لهذا احتفظنا للكلمة Le récit بالسرد القصصى ، هذا والكلمة Le récit فى الفرنسية تتكون من متن حكاى ومبنى حكاى فى آن واحد ، أى أنها محكى وخطاب معا ؛ إنها القصة بكاملها : شكلا ومضمونا ؛

(١٤) Gérard Genette, Figures III, P. 71 & Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer : Nouveau dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Paris, éd. du Seuil, coll. Points, 1995, P. 710

واستعملنا كلمة قصة بمعنى المتن الحكائي ، وكلمة خطاب Discours بمعنى الطريقة التي يُروى بها الخبر (١٥) .

أما من ناحية القصة موضوع التطبيق - القصة القرآنية ؛ فنحن في أى وقت من الأوقات لانستطيع أن نفصل بين الكلمتين (القصة - القرآنية) إنما يكون النظر إلى القصة على أنها قرآنية ، ولذلك خصوصية مهمة ، سنحتاج إلى التذكير بها مرة بعد مرة ؛ فهي قصة لها أهدافها ، التي ترجع إلى طبيعة الكتاب الكريم ، فهو كتاب دعوة ، والقصص فيه كذلك وسيلة من وسائل الدعوة ، ففي كل مرة نذكر فيها قصة جديدة سنكون بحاجة إلى القول : إنها جاءت لأهداف تحققها ، وغايات تسعى إليها . ﴿ فَأَقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾ الأعراف ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ سورة هود ١٢٠ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ سورة يوسف ١١١ .

(١٥) ونشير بهذا الصدد إلى أننا سنستعين كثيراً بالترجمة التي قدمها كل من : محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدي ، وعمر حلي لجانب من كتاب Genette : " Figures III " المسمى " خطاب الحكاية ، بحث في المنهج " ط٢ القاهرة ١٩٩٧ ، وبخاصة في نقل المصطلح إلى العربية . وكذلك بسعيد يقطين في كتابه : تحليل الخطاب الروائي ، ط١ ١٩٩٨ ، وصلاح فضل في كتابه : بلاغة الخطاب وعلم النص ، الكويت ، ١٩٩٢ ؛ وسوف نحاول أن ننيل الدراسة بمعجم لأهم المصطلحات الواردة فيها ، معتمدين - بالإضافة إلى الكتب السابقة - على Oswald Ducrot - Jean Marie Schaeffer : Nouveau dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Paris, éd.du Seuil, coll.Points, 1995

القصة والسرد

" السرد القصصى " ومن خلال الاسم ، يتفرع إلى قسمين كبيرين ، هما : القصة (بمعنى المتن الحكائى) والسرد (بمعنى المبنى الحكائى) وهذا ما سنسير عليه طوال البحث . أما الأول فيتعلق بالأحداث والشخصيات ، وأما الثانى فيتعلق بتنظيم تلك الأحداث فى نسق خاص ، بكيفية خاصة ، من خلال سارد يتوجه به إلى مسرود له .

أولا - القصة القرآنية بوصفها متنا حكائيا

إن دراسة القصة بوصفها متنا حكائيا ، تعنى دراسة مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها ، وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص ؛ ودراستنا للمتن الحكائى إذن لن تخرج عن هذين المحورين :

المحور الأول - الأحداث ، وقد احتفظنا لها بتسمية بروب " الوظائف " و يقصد بالوظيفة : " فعل شخصية ما ، محدد من وجهة نظر دلالاته داخل جريان الحكاية " (١) والوظيفة تمثل عنصرا ثابتا فى الحكاية ؛ ولأنها تصف تفاعل الشخصيات ، أى تصف أفعال وأوضاع السرد معا ، فإن ما هو مهم فى دراسة القصة - فيما يرى بروب - هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات ، وليس السؤال عن فعل هذا الفعل ، أو كيف فعله ؛ فتلك أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع فحسب (٢) .

(١) V.Propp , Morphologie du conte, Traduction française, Ed.du Seuil, coll.Points, 1970 , p. 31

(٢) Ibid.p : 29

والمحور الثانى - الشخصيات التى تقوم بهذه الأحداث أو تؤدى هذه الوظائف ، وما بينها من علاقات ، ودوافع تدفعها إلى ما تضطلع به من أفعال .

ولنبداً بتحديد المصادر التى سوف نعتد عليها فى الحصول على " المتن الحكائى " لقصصنا القرآنى ؛ إنه النص القرآنى ذاته ، هو السرد القصصى فى القرآن منقطعاً عما عداه من تأويلات ، أو إسرانيات ، أو غير ذلك ... القصة كما وردت فى الكتاب الكريم فحسب ، بكل خصوصياتها ؛ وإن ثمة بنية محايثة للقصة يمكن عزلها بقصد الوصف ، كما يرى بروب . على أن مسألة فصل تلك البنية المحايثة - وهى مسألة شائكة ربما لاتصالها بوجه من الوجوه بتلك الثنائية القديمة : اللفظ والمعنى - هى مسألة فصل إجرائى فحسب يعين على دقة الدراسة مع احتفاظنا للبنية بحقها فى الاكتمال الذاتى ، فليس هناك مبنى ومعنى وإنما هناك بنية مكتملة تحمل معناها الخاص .

١ - البنية الوظيفية

- قصص آدم عليه السلام :

يرد هذا القصص فى مواضع كثيرة من الكتاب الحكيم ، ونحن فى هذه الدراسة نتتبع هذا القصص فى أكثر مواضعه تفصيلاً ، واصفين البنية الوظيفية الخاصة بكل موضع . معتبرين - ودائماً - ترتيب نزول السور القرآنية الكريمة .

١ - فى سورة ص (٣٨) :

- ١ - إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٧١ - ٧٢)
- ٢ - سجود الملائكة ، وامتناع إبليس (٧٣ - ٧٦)
- ٣ - طرد إبليس (٧٧ - ٧٨)
- ٤ - طلبه الإنظار إلى يوم البعث ، وإجابته إلى طلبه (٧٩ - ٨٣)
- ٥ - وعيد الله لإبليس وأتباعه (٨٤ - ٨٥)

تبدأ الأحداث بطلب صاحب الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يعلن أن العلم الذي يعلمه موحى به إليه من ربه ، ولولا هذا الوحي ما كان ليعلم من أمر تلك القصة شيئاً ، ومن ثم يأخذ في سرد أحداثها : من إخبار الله الملائكة بخلق آدم ، ثم سجود الملائكة و امتناع إبليس ، ثم طرد إبليس ، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه ، ثم وعيد الله لإبليس وأتباعه .

ب - فى سورة الأعراف (٣٩) :

- ١ - سجود الملائكة ، وامتناع إبليس (١١ - ١٢)
- ٢ - طرد إبليس (١٣)
- ٣ - طلبه الإنظار إلى يوم البعث ، وإجابته إلى طلبه (١٤ - ١٧)
- ٤ - وعيد الله لإبليس وأتباعه (١٨)
- ٥ - سكنى آدم وزوجه الجنة ، ونهيهما عن شجرة فيها (١٩)
- ٦ - إغواء الشيطان لهما (٢٠ - ٢٢)
- ٧ - الخطيئة والتوبة (٢٢ - ٢٣)
- ٨ - الهبوط إلى الأرض (٢٤)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، وما كان من نتائج هذا الامتناع من طرد له ووعيد منه بإغواء آدم وذريته ، ثم تعرض لسكنى آدم وزوجه الجنة ونهيهما عن شجرة فيها ، ومن ثم يتحقق لإبليس ما أراد من إغواء لآدم وذريته ، فكانت الخطيئة وكانت التوبة .

فإذا كنا في سورة " ص " نجد سردا لقصة آدم وإبليس الغرض منه إثبات الوحي ، فنحن ههنا نجد شيئا آخر أحدثه فيما نعتقد إحلال وظائف لم تكن موجودة من قبل مثل سكنى آدم وزوجه الجنة ، وإغواء الشيطان لهما إنها قصة العداوة بين آدم وإبليس تفصلها الوظائف المعروضة التي تبدأ برفض إبليس السجود ، وتنتهي بتأكيد العداوة مع الهبوط الى الأرض ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (٢٤) ﴿ البقرة .

جـ - في سورة طه (٤٥) :

- تقديم / إجمال القصة : نسيان آدم (١١٥)

ثم تفصيل :

١ - سجود الملائكة وامتناع إبليس (١١٦)

٢ - تحذير آدم من عداوة إبليس (١١٧ - ١١٩)

٣ - إغواء الشيطان لآدم (١٢٠)

٤ - الخطيئة والتوبة (١٢١ - ١٢٢)

٥ - الهبوط إلى الأرض (١٢٣ - ١٢٦)

تحدد ههنا مهمة السرد منذ البداية ﴿ وَلَقَدْ عَاهَتْنا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَتَسَيَّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (١١٥) ﴿ فهي قصة النسيان (نسيان آدم) ويسير السرد على هذا النحو ، فتبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، ثم يأتي التحذير لآدم من عداوة إبليس - وهي وظيفة جديدة هنا - لنلا يخرجه من النعيم إلى الشقاء . لكنه ينسى ؛ فيكون الشقاء .

د - فى سورة الإسراء (٥٠) :

- ١ - سجود الملائكة وامتناع إبليس (٦١)
- ٢ - طلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه (٦٢)
- ٣ - وعيد الله لإبليس وأتباعه (٦٣)
- ٤ - إرشاده إلى سبل الغواية ، وإخباره بعصمة عباد الله (٦٤ - ٦٥)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، واستكباره أن يسجد لمخلوق من طين ، مبدىا حقه عليه لتكريم الله إياه ، فيطلب من الله التأخير إلى يوم القيامة ، ليريه كيف أن هذا المخلوق من الضعف حتى أنه لن يثبت أمام إضلاله له واستحواده عليه - إلا القليل - فيجيبه الله إلى طلبه ويبشره بجهنم ومن اتبعه ، وليفعل كل ما بوسعه ؛ فلا سلطان له على عباد الله يمكنه من تغيير ما فى قلوبهم من إيمان .

فالقصة تعرض حقد الشيطان على الإنسان لتكريم الله إياه من دونه وتفضيله عليه .. وتعرض من ثم سبل الشيطان إلى غواية الغاوين ﴿ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٦٤) ٤ .

هـ - فى سورة الحجر (٥٤) :

- تقديم : خلق الإنسان من صلصال ، والجان من نار (٢٦ - ٢٧)
ثم تفصيل :

- ١ - إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٢٨)
- ٢ - سجود الملائكة وامتناع إبليس (٢٩ - ٣٣)
- ٣ - طرد إبليس (٣٤ - ٣٥)
- ٤ - طلبه الإنظار إلى يوم البعث ، وإجابته إلى طلبه (٣٦ - ٣٨)

٥ - وعيد الله لإبليس وأتباعه (٣٩ - ٤٤)

بعد مقدمة سريعة تعرض للفارق الأساسى بين الإنسان والجان ، وأن لكل منهما طبيعته التى تعود إلى مادة خلقه يبدأ تفصيل الأحداث : من إخبار الله الملائكة بخلق آدم ، ثم سجود الملائكة و امتناع إبليس أن يسجد لبشر من صلصال من حمأ مسنون بينما هو مخلوق من نار السموم ، ثم ما كان من طرد إبليس ، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته الى طلبه ، وإخبار الله له بعصمة عباده ، إنما سلطانه على الغاوين ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) ﴾ .

و - فى سورة البقرة (٨٧) :

١ - إخبار الله الملائكة بجعله خليفة فى الأرض (٣٠)

٢ - إعداد آدم للخلافة (٣١ - ٣٣)

٣ - سجود الملائكة و امتناع إبليس (٣٤)

٤ - سكنى آدم وزوجه الجنة ، ونهيهما عن شجرة فيها (٣٥)

٥ - إغواء الشيطان لهما (٣٦)

٦ - التوبة (٣٧)

٧ - الهبوط إلى الأرض (٣٨ - ٣٩)

تبدأ الأحداث بإخبار الله الملائكة بجعله خليفة فى الأرض ؛ وتنتهى بإيجاد هذا الخليفة ، مروراً بمجموعة من الوظائف المتعلقة بأمر الاستخلاف دون غيرها ، مما يأتى فى سياقات أخرى ؛ فنجد الحديث عن منزلة آدم ، وتكريمه بأمر الله الملائكة أن يسجدوا له ، مع إلحاح سريعة إلى إباء إبليس دون التعرض لنتيجة هذا الإباء ... ثم إسكان آدم وزوجه الجنة ونهيهما

عن شجرة فيها ، أزلهما الشيطان عنها ، وتوبة الله على آدم ، ثم هبطه إلى الأرض خليفة كما أراد له الله .

- تعقيب :

نلاحظ كيف أن حضور بعض الوظائف أو غيابها يؤثر في تغيير الصورة التي تأتي عليها القصة في كل مرة : فمرة هي عرض لقصة آدم وإبليس ، ومرة هي قصة العداوة بين آدم وإبليس ، وثالثة هي قصة نسيان آدم ، ورابعة هي قصة حقد الشيطان على آدم ، وخامسة هي قصة التباين بين آدم وإبليس ، وسادسة هي قصة الاستخلاف في الأرض .
في كل مرة نجد قصة جديدة ، كأثر لحضور وظيفة أو غياب أخرى ، مما يؤثر في المتتالية الوظيفية ، ويغير من ثم منطق ترابطها ، فيصير المعنى إلى معنى آخر .

- قصص نوح عليه السلام :

بالنظر إلى البنية الوظيفية لقصص نوح عليه السلام في مواضعه الأكثر تفصيلا في كتاب الله الحكيم، نجد أنها :

١ - في سورة القمر (٣٧) :

١ - تكذيب قوم نوح (٩)

٢ - استنصار نوح بربه (١٠)

٣ - إهلاك المكذبين ، ونجاة المؤمنين (١١ - ١٤)

تحكى الأحداث - فى إيجاز شديد - ما وقع بقوم نوح من عذاب ، جزاء تكذيبهم واجترائهم على نبيهم عليه السلام ؛ بدءا بحدث التكذيب ، فاستنصار نوح بربه ، ومن ثم يأتى وصف ما حاق بقومه من العذاب ، وما لحق به من نعمة ربه بإنجائه مما لحق بقومه .

ب - فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ - إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٩)

٢ - تكذيب قومه (٦٠ - ٦٤)

٣ - نجات المؤمنين ، وإهلاك المكذبين (٦٤)

تحكى الأحداث قصة الدعوة إلى الله ، وما يصاحبها من جدال وتكذيب وعقاب .

ج - فى سورة الشعراء (٤٧) :

- مقدمة : تكذيب قوم نوح (١٠٥)

- ثم تفصيل :

١ - دعوة نوح لهم إلى تقوى الله وطاعته (١٠٦ - ١١٠)

٢ - استكبارهم وتهديدهم له (١١١ - ١١٦)

٣ - نجات المؤمنين ، وإهلاك المكذبين (١١٧ - ١٢٢)

يبدأ السياق بتقديم يحدد اتجاه القصة ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ ومن ثم تفصل

الأحداث قصة قوم دأبهم تكذيب الرسل ، وما كان من موقفهم تجاه نبيهم الذى قنط من إيمانهم ؛

فدعا عليهم ؛ فجاءت النهاية فى إيجاز سريع .

د - فى سورة يونس (٥١) :

١ - تحدى نوح لقومه (٧١ - ٧٢)

٢ - تكذيب قومه (٧٣)

٣ - نجاه المؤمنين ، وإهلاك المكذبين (٧٣)

تحكى الأحداث قصة تحدى نوح عليه السلام لقومه ، فى عرض مختصر - وفى نهاية رسالته - أن يفعلوا ما بوسعهم إن كانوا قد ضاقوا به وبدعوته ، أما هو فقد توكل على الله ربه .

هـ - فى سورة هود (٥٢) :

١ - إرسال نوح ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٥ - ٢٦)

٢ - تكذيب قومه له ، وطلبهم إيقاع العذاب بهم (٢٧ - ٣٦)

٣ - الأمر بصناعة الفلك (٣٧ - ٣٩)

٤ - الطوفان (٤٠ - ٤٣)

٥ - نجاه المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (٤٤ - ٤٩)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، وتكذيب قومه له وثبوتهم على كفرهم ، ومن ثم الأمر بصناعة الفلك ، وبعد ذلك تأتى تفاصيل أحداث الطوفان ، وما بعد الطوفان .

و - فى سورة نوح (٧١) :

١ - إرسال نوح ، والدعوة إلى عبادة الله (١ - ٤)

٢ - تكذيب قومه له (٥ - ٢٣)

٣ - إهلاك الكافرين (٢٤ - ٢٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، ثم تحكى تفاصيل الشكوى إلى الله من قوم كافرين ، يصرون على كفرهم ، وكأنه يعتذر إلى الله حيث لم يستطع هدايتهم . ومن ثم غرقهم فإدخالهم النار دون تفصيل .

ز - فى سورة "المؤمنون" (٧٤) :

- ١ - إرسال نوح ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٣)
- ٢ - تكذيب قومه له (٢٤ - ٢٦)
- ٣ - الوحي بصناعة الفلك (٢٧)
- ٤ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (٢٧ - ٣٠)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، ثم تعرض لتمادى قومه فى سخريتهم به ، حتى استنصر ربه فنصره .

ح - فى سورة العنكبوت (٨٥) :

- ١ - إرسال نوح إلى قومه (١٤)
- ٢ - لبثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما (١٤)
- ٣ - إهلاك الكافرين ، ونجات المؤمنين (١٤ - ١٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، وتحكى قصة صبره الطويل على دعوته لقومه ، و لم تجد هذه المدة الطويلة شيئا مع قومه .

- تعقيب :

فى كل المتتاليات الوظيفية التى تمثل قصص نوح ، نجد وظائف ثابتة تتكرر فى كل مرة ، وأخرى غير ثابتة ، أما الثابتة فهى :

١- إرسال نوح عليه السلام والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢- تكذيب قومه له .

٣- نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

وأما الأخرى ، فيؤثر حضورها أو غيابها فى تغيير الصورة التى تأتى عليها القصة : فمرة هى قصة العذاب الذى وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم ، وثانية هى قصة الدعوة إلى الله ، وثالثة هى قصة قوم مكذبين ، ورابعة هى قصة تحدى نوح لقومه ، وخامسة هى قصة الطوفان ، وسادسة هى قصة الشكوى إلى الله ، وسابعة هى قصة انتصار الله لنبيه ، وثامنة هى قصة الصبر الطويل على الدعوة .

- قصص هود عليه السلام :

١- فى سورة القمر (٣٧) :

١ - تكذيب عاد (١٨)

٢ - وقوع العذاب (١٨ - ٢١)

تحكى الأحداث - فى إيجاز شديد - ما وقع بقوم هود من عذاب ، جزاء تكذيبهم .

ب - فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ - إرسال هود ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦٥)

٢ - تكذيب قومه ، وطلبهم العذاب (٦٦ - ٧١)

٣ - نجات المؤمنين ، وإهلاك المكذبين (٧٢)

تحكى الأحداث موقف قوم من الوحى ؛ حيث استكبروا وكذبوا وسخروا ، فعوقبوا وأهلكوا .

جـ - فى سورة الشعراء (٤٧) :

- مقدمة : تكذيب عاد (١٢٣)

- ثم تفصيل :

١ - دعوة هود لقومه (١٢٤ - ١٣٥)

٢ - تكذيب قومه له (١٣٦ - ١٣٩)

٣ - إهلاك عاد (١٣٩)

يبدأ السياق بمقدمة تحدد اتجاه القصة من البداية ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) ﴾ ثم تفصل

الأحداث قصة قوم مكذبين ، مع حرص رسولهم على هدايتهم .

د - فى سورة هود (٥٢) :

١ - إرسال هود والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٠ - ٥٢)

٢ - تكذيب قومه له (٥٣ - ٥٤)

٣ - تحديه لهم (٥٤ - ٥٧)

٤ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (٥٨ - ٦٠)

تحكى الأحداث - فى تفصيل - ما كان من تحدى هود لقومه بعد أن أيس منهم ، وما كان بعد ذلك من إهلاكهم ﴿وَيْلٌكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٥٩) (وَأْتِيعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) (٦٠) ٤ .

هـ فى سورة الأحقاف (٦٦) :

١ - إنذار هود لقومه (٢١)

٢ - تكذيب قومه واستعجالهم العذاب (٢٢ - ٢٣)

٣ - إهلاك عاد (٢٤ - ٢٥)

تحكى الأحداث قصة قوم جاهلين ؛ أنذروا فكذبوا ، وراوا العذاب فحسبوه غيثا ؛ فهلكوا بجهلهم .

- تعقيب :

نلاحظ أن الوظائف الثلاث الثابتة فى قصص نوح عليه السلام ، تتكرر ههنا كذلك ، وهى هنا أيضا ثابتة فى كل المقتليات الوظيفية :

١- الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢- التكذيب .

٣- نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

وهناك وظائف أخرى متغيرة ، يؤثر حضورها فى تغيير المتن الحكائى ؛ ليأتى كما رأينا فى صور مختلفة : فمن حكاية صورة العذاب ، إلى موقف القوم من الوحي ، إلى قصة قوم مكذبين ، إلى قصة تحدى هود لقومه ، إلى قصة الجهل الذى يعمى الأبصار والبصائر .

- قصص صالح عليه السلام :

١ - فى سورة القمر (٣٧) :

١ - تكذيب ثمود (٢٣ - ٢٩)

٢ - وقوع العذاب (٣٠ - ٣١)

تحكى الأحداث ما وقع بثمود من عذاب جزاء تكذيبهم .

ب - فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ - إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٧٣ - ٧٤)

٢ - تكذيب قومه له (٧٥ - ٧٦)

٣ - عقر الناقة وطلب العذاب (٧٧)

٤ - إهلاك الكافرين (٧٨ - ٧٩)

هذه قصة الدعوة إلى الله : نبي يدعو وقوم يكذبون ، ويسخرون من المؤمنين ، ويج
بآيات ربهم ؛ فيهلكهم الله بذنوبهم ، ويعجل لهم الهلاك دون تفصيل .

ج - فى سورة الشعراء (٤٧) :

١ - تكذيب ثمود (١٤١)

٢ - دعوة صالح لهم (١٤٢ - ١٥٢)

٣ - تكذيبهم له ، وطلبهم آية (١٥٣ - ١٥٤)

٤ - الناقة ، والتحذير (١٥٥ - ١٥٦)

٥ - عقر الناقة ، والندم (١٥٧)

٦ - إهلاك ثمود (١٥٨)

تبدأ الأحداث بتقديم يحدد اتجاه القص ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) ﴾ ومن ثم تفصل الأحداث قصة التكريب المركز في نفوس أصحابه ، فهم يتحركون بتوجيه منه .

د - في سورة النمل (٤٨) :

١ - إرسال صالح إلى ثمود ، وانقسامهم فريقين (٤٥)

٢ - كفر الفريق الضال ، وتشاؤمهم من المؤمنين (٤٦ - ٤٧)

٣ - عقد العزم على قتل صالح وأهله (٤٨ - ٥٠)

٤ - إهلاك الكافرين ، ونجاة المؤمنين (٥١ - ٥٣)

تحكى الأحداث قصة قوم مكروا بنبيهم ، وبيتوا لقتله ، فأهلكهم الله بما مكروا .

هـ - في سورة هود (٥٢) :

١ - إرسال صالح ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦١)

٢ - تكذيب قومه له ، وإنكارهم لحاله (٦٢)

٣ - عقر الناقة ، وانتظار العذاب (٦٣ - ٦٥)

٤ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك الظالمين (٦٦ - ٦٧)

وهذه قصة انحراف الفطرة ، حين يصير الحق ضلالا وباطلا ، والباطل حقا ؛ إذ نجد في ردهم على نبيهم ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ أى قبل أن يدعوهم إلى الحق الذى سيكلفهم ترك اتباع الهوى .

- تعقيب :

ههنا أيضا تتكرر الوظائف الثابتة فى قصص نوح وهود عليهما السلام :

١- الإرسال و الدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢- التكذيب .

٣- نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

وثم وظائف أخرى متغيرة تؤثر فى متن الحكاية ، وتؤدى إلى زيادة خصوصية القصة ؛ فتأتى مرة قصة التكذيب والعذاب ، ومرة قصة الدعوة إلى الله ، ومرة ثالثة قصة التكذيب الذى يقود أصحابه إلى هلاكهم ، ورابعة قصة المكر الذى يهلك أصحابه ، وخامسة قصة انحراف الفطرة .

- قصص لوط عليه السلام :

١- فى سورة القمر (٣٧) :

١ - تكذيب قوم لوط (٣٣)

٢ - إهلاك المكذبين ، ونجاة المؤمنين (٣٤ - ٣٥)

٣ - إنذار لوط قومه ، وتكذيبهم له (٣٦)

٤ - مراودتهم لوطا عن ضيفه (٣٧)

٥ - إهلاك قوم لوط (٣٧ - ٣٩)

تعرض الأحداث قصة إهلاك قوم لوط ؛ حيث أنذروا فكذبوا فحق هلاكهم .

ب - فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ - إنكار لوط فعل قومه (٨٠ - ٨١)

٢ - تماديهم فى الغى والإجرام (٨٢)

٣ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (٨٣ - ٨٤)

تحكى الأحداث قصة الدعوة إلى الله ، باتباع هديه ، وترك اتباع الهوى والإغراق فى الرذيلة . ومقابلة ذلك بالجحود والتكذيب . ومن ثم يكون الإهلاك جزاء وفاقا دون إهمال ، ودون مقدمات تفصيلية .

ج - فى سورة الشعراء (٤٧) :

١ - تكذيب قوم لوط (١٦٠)

٢ - دعوة لوط لهم (١٦١ - ١٦٦)

٣ - تهديدهم بإخراجه إن لم ينته (١٦٧)

٤ - تصرّحه بالبغض لعملهم ، واستنصاره بربه (١٦٨ - ١٦٩)

٥ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (١٧٠ - ١٧٤)

تحكى الأحداث قصة قوم مكذّبين ، صموا آذانهم عن دعوة نبيهم ؛ فدمر الله عليهم .

د - فى سورة هود (٥٢) :

- ١ - مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد ، و إخبارهم له بأمر قوم لوط (٦٩ - ٧٦)
- ٢ - مجيء الرسل لوطا ، وضيقة بهم ؛ خوفا عليهم من قومه (٧٧)
- ٣ - قدوم قومه يريدون ضيفه ، ومحاولته منعهم (٧٨ - ٨٠)
- ٤ - كشف الرسل عن حقيقتهم ، وطلبهم إليه بالرحيل (٨١)
- ٥ - إهلاك الكافرين (٨٢ - ٨٣)

تعرض الأحداث حيرة لوط عليه السلام - لمعرفته بانحراف قومه - حين أتته الملائكة في صورة بشر ضيفان ، وهو ليس بقادر على حسن استضافتهم .

هـ - فى سورة الحجر (٥٤) :

- ١ - مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد ، وإخبارهم له بأمر قوم لوط (٥١ - ٦٠)
- ٢ - مجيء الرسل لوطا ، وإخباره بأمرهم (٦١ - ٦٦)
- ٣ - قدوم قومه يريدون ضيفه ، ومحاولته منعهم (٦٧ - ٧١)
- ٤ - إهلاك قوم لوط (٧٢ - ٧٧)

تحكى الأحداث قصة تصديق النذير ، أمام الشاكين المكذبين . وهذا ما جاء لأجله الملائكة إلى لوط الذى كان قد توعد قومه بالعذاب ؛ فكذبوه ؛ فصدقته الملائكة بوقوع العذاب .

و - فى سورة العنكبوت (٨٥) :

- ١ - إنكار لوط فعل قومه (٢٨ - ٢٩)
- ٢ - استهزاء قومه ، وطلبهم العذاب (٢٩)
- ٣ - استنصار لوط بربه (٣٠)

٤ - مجيء الملائكة إبراهيم بالبشرى ، وإخباره بأمر القرية (٣١ - ٣٢)

٥ - مجيء الملائكة لوطا ، وضيقه بهم ؛ خوفا عليهم من قومه (٣٣)

٦ - إهلاك القرية (٣٣ - ٣٥)

تحكى الأحداث طبيعة الدعوة التى أرسل لها لوط ، ومالقى من استهزاء قومه ، ومن ثم تعرض نصر الله لنبيه حين استنصر به .

- تعقيب :

هنا نجد الوظائف الثلاث الثابتة فى قصص كل من نوح ، وهود ، وصالح :

١ - الدعوة إلى تقوى الله .

٢ - التكذيب .

٣ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

تتضاف إليها الوظائف المتغيرة ، لتغير الشكل الذى تأتى عليه القصة ، وتمنحه خصوصيته
فيكون مرة هو قصة إهلاك قوم لوط ، ومرة قصة الدعوة إلى الله ، وثالثة قصة قوم مكذبين ،
ورابعة قصة حيرة النبی ، وخامسة قصة تصديق النذير ، وسادسة قصة نصر الله لنبيه .

- قصص شعيب عليه السلام :

١ - فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ - إرسال شعيب إلى مدين ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٥ - ٨٧)

٢ - تكذيب قومه و استكبارهم (٨٨ - ٩٠)

- ٣ - استتصاره بربه (٨٩)
- ٤ - إهلاك الكافرين (٩١ - ٩٢)
- ٥ - تحسر شعيب عليهم (٩٣)

تعرض الأحداث قصة الدعوة إلى الله ، وموقف المدعويين منها .

ب - فى سورة الشعراء (٤٧) :

- ١ - تكذيب أصحاب الأيكة (١٧٦)
- ٢ - دعوة شعيب لهم (١٧٧ - ١٨٤)
- ٣ - تكذيبهم له ، وطلبهم العذاب (١٨٥ - ١٨٧)
- ٤ - إهلاك المكذبين (١٨٨ - ١٩٠)

تعرض الأحداث قصة قوم مكذبين ، أهلكوا عقابا على تكذيبهم رسولهم .

ج - فى سورة هود (٥٢) :

- ١ - إرسال شعيب إلى مدين ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٤ - ٨٦)
- ٢ - تكذيب قومه له و استهزاؤهم به (٨٧ - ٩١)
- ٣ - تهديده لهم بعذاب الله (٩٢ - ٩٣)
- ٤ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الظالمين (٩٤ - ٩٥)

تعرض الأحداث قصة رسول جاهر قومه بالتهديد بالعذاب ، بعد أن يؤس منهم لتكذيبهم وكفرهم .

- تعقيب :

نحن هنا أمام الوظائف الثلاث الثابتة فى قصص نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط :

١ - الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ - التكذيب .

٣ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

وتم وظائف أخرى متغيرة ، تعطى متتالية الوظائف فى كل مرة شكلا جديدا ، يعطى مدلولاً مختلفاً فى كل مرة ، فمرة نجد قصة الدعوة وما يحف بها ، ومرة قصة عاقبة المكذبين ، ومرة قصة موقف الرسول من قومه المكذبين .

- قصص موسى عليه السلام :

أ - فى سورة الأعراف (٣٩) :

- مقدمة : الإرسال ، والدعوة ، والتكذيب (١٠٣)

- ثم تفصيل :

١ - إرسال موسى إلى فرعون وقومه ، مؤيِّدا بالمعجزات (١٠٤ - ١٠٨)

٢ - تكذيب فرعون وقومه (١٠٩ - ١٢٧)

٣ - نجاة بنى إسرائيل ، وإهلاك فرعون وقومه (١٣٠ - ١٣٧)

٤ - انحراف فطرة بنى إسرائيل ، وفساد طبيعتهم (١٣٨ - ١٦٨)

هنا ، وكما رأينا مع قصص سورة الأعراف : نوح ، وهود ، ولوط ، وشعيب ؛ نلتقى مع الوظائف الثلاث الثابتة : الدعوة . التكذيب . النجاة ، والإهلاك ؛ غير أن الوظيفة الأخيرة هنا لاتعنى خاتمة القصة ، كما مربنا فى القصص السابقة ، وإنما هى بداية لجانب آخر من القصة ، يتكفل بإظهار فساد طبيعة بنى إسرائيل ، وانحراف فطرتهم ، وهم الفريق الناجى المفترض فيه الإيمان ، لكن طبيعتهم تمنعهم عن أن يثبتوا على العقيدة الصحيحة ؛ فينحرفوا مرة بعد مرة ، وما يزال الرسول بين ظهرانيهم .

ب- فى سورة طه (٤٥) :

- ١ - اختيار موسى للرسالة (٩ - ٣١)
- ٢ - تذكير موسى بنعم الله عليه (٣٧ - ٤١)
- ٣ - إرسال موسى إلى فرعون (٤٢ - ٥٥)
- ٤ - استكبار فرعون و تكذيبه (٥٦ - ٧٦)
- ٥ - إهلاك فرعون وقومه (٧٧ - ٧٩)
- ٦ - إنجاء بنى إسرائيل ، وضلالهم (٨٠ - ٩٨)

تحكى الأحداث قصة الرسالة ، ومصاحباتها من دعوة ، وتكذيب ، وإهلاك و إنجاء . حيث تبدأ القصة بحدث اختيار الرسول ، بداية من تعريف الله له بذاته ، وأنه اختاره لرسالته ، وأيده بالمعجزات الخارقة ؛ تمهيدا لإرساله إلى فرعون ، ويذكره الله بأنه - من قبل - قد من عليه بنعمه ، منذ ميلاده حتى إرساله ، ليُصنع على عينه ؛ حتى إذا ذهب إلى فرعون ذهب مطمئنا إلى معية ربه ورعايته له اطمئنانا مطلقا . وليذهب إلى فرعون لعله يتذكر أو يخشى ؛ لكنه كذب وأبى ؛ فكانت خاتمة قصة فرعون وقومه متمثلة فى إهلاكهم ، وكان هذا الإهلاك بداية لحياة بنى

إسرائيل الكريمة ، التي رفضوها بجهلهم واتبعوا أهواءهم ؛ فعبدوا عجل السامري ، حتى عاد موسى من ميعاد ربه فحرقه ، ونسفه في اليم نسفا .

ج- في سورة الشعراء (٤٧) :

١- الإرسال (١٠ - ٢٤)

٢- التكذيب (٢٥ - ٥٦)

٣- إهلاك فرعون وقومه ، وتكريم بنى إسرائيل (٥٧ - ٦٧)

ههنا نقابل الوظائف الثلاث الثابتة ، حيث نبدأ مع إرسال موسى إلى قوم فرعون الظالمين ، ودعوته لهم ؛ لكنهم يكذبونه مستكبرين معرضين عن دعوته ؛ بعد أن يجادل فرعون موسى في تربيته له ، وفي قتله القبطي ، ثم في الله رب العالمين ، محذرا إياه أن يتخذ إلها غيره ؛ ويجمع له السحرة ليغلبوه ؛ فيُغلبوا ويؤمنوا بالله رب العالمين ؛ ويغضب فرعون ويرسل في المدائن حاشرين محذرين ؛ وتكون عاقبتهم الإهلاك وتورث بنى إسرائيل جناتهم ، وكنوزهم ، ومنازلهم .

د- في سورة القصص (٤٩) :

مقدمة : (٣ - ٦)

١- طفولة موسى (٧ - ١٣)

٢- الخروج إلى مدين (١٤ - ٢٨)

٣- الرسالة ، والعودة إلى مصر (٢٩ - ٣٥)

٤- مجيء موسى ، ودعوته آل فرعون (٣٦ - ٣٧)

٥- تكذيب فرعون واستكباره (٣٨ - ٣٩)

٦ - إهلاك الظالمين : فرعون وجنوده (٤٠ - ٤٢)

تبدأ القصة بمقدمة عن استكبار فرعون ، وإفساده ، وإرادة الله التمكين لبني إسرائيل ؛ ومن ثم يأخذ السرد في تفصيل ذلك ؛ فيبدأ منذ طفولة موسى التي جاءت مع إذلال بني إسرائيل واضطهادهم ، فتلقيه أمه في اليم خوفاً عليه ، ويلتقطه آل فرعون ، ليعود إلى أمه بعد أن يرفض المراضع اللاتي عرضن عليه . ومن ثم ينتقل السياق إلى شبابه وقتله للقبطي ، ورحيله إلى مدين ، ليلتقي بالمرأتين ، ويتزوج إحداهما ، ويعود إلى مصر بزوجه بعد أن قضى الأجل ؛ لتبدأ في طريق العودة رحلة الرسالة ، فيكلفه الله بدعوة آل فرعون ؛ ويكذبه فرعون وجنوده ؛ فتكون العاقبة الوبيلة على المكذبين ﴿ فَأَخَذْنَا وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) .

تعقيب :

ما زالت الوظائف الثلاث الثابتة في قصص الأنبياء السابقين (نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب) - : الدعوة . التكذيب . الإهلاك والإنجاء - تؤكد ارتباطها بالرسالات ، فتأتي ههنا في قصص موسى عليه السلام ، تتضاف إليها وظائف أخرى لتغير من تأثيرها في نفوس المتلقين ، تبعاً لتغير السياق الذي ترد فيه القصة .

- قصة موسى والعبد الصالح :

- في سورة الكهف :

١ - الرحلة إلى مجمع البحرين (٦٠)

٢ - نسيان الحوت (العلامة) (٦١ - ٦٤)

٣ - لقاء العبد الصالح ، واتباعه على شرطه (٦٥ - ٧٠)

٤ - الإخلال بالشرط ثلاث مرات (٧١ - ٧٧)

٥ - الفراق ، وتأويل الأحداث العجيبة (٧٨ - ٨٢)

ترد قصة موسى والعبد الصالح مرة واحدة ، فى سياق واحد ؛ فيبدو فيها التماسك الوظيفى الذى تتمتع به مثيلاتها من القصص المذكور مرة واحدة ، كما سنرى فى قصة يوسف عليه السلام .

تبدأ القصة بالرحلة إلى مكان غير معلوم ، و لقاء رجل مجهول يقوم بأفعال غير مبررة : خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار لمن رفض إطعامه ؛ أفعال تحمل الشر والغرابة فى ظاهرها ، لكن تأويلها الذى يأتى مع الفراق يحمل معنى آخر : فخرق السفينة كان رحمة بأصحابها ، وقتل الغلام كان رحمة بأبويه ، وإقامة الجدار كان رحمة بغلامين يتيمين فى المدينة وكان أبوهما صالحا ؛ ومن ثم يكون وقع الفراق أليما ، وتأثيره مذهلا لموسى ، فلا نسمع له تعليقا ، وإنما ينتقل السياق إلى قصة أخرى .

- قصة يوسف عليه السلام :

١ - رؤيا يوسف (٤ - ٦)

٢ - حسد الإخوة (٧ - ١٨)

٣ - يوسف عند عزيز مصر (١٩ - ٢١)

٤ - محنة المراودة (٢٢ - ٣٤)

٥ - يوسف فى السجن " رؤيا السجينين ورؤيا الملك " (٣٥ - ٤٩)

٦ - براءة يوسف والتمكين له (٥٠ - ٥٧)

٧ - قدوم إخوته عليه ، واجتماعه بأخيه (٥٨ - ٨٣)

٨ - تأويل الرؤيا (٨٤ - ١٠١)

ترد هذه القصة فى سياق واحد ، وتكتمل فى بنية وظيفية واحدة متماسكة ؛ فالحكاية تبدأ برؤيا يوسف ، التى تكشف عن حسد إخوته ، ذلك الحسد الذى كان سببا فى وصوله إلى بيت عزيز مصر ، حيث راودته امرأة العزيز عن نفسه ، مما تسبب فى دخوله السجن ، الذى كان سببا فى التمكين له ، حيث وصل إلى الملك عن طريق ساقيه ، وتسبب التمكين له فى اجتماعه بإخوته ، ومن ثم فى تحقيق الرؤيا ... هكذا نترابط الوظائف فى القصة ترابط السبب والنتيجة ؛ حيث تتنامى الوظائف ، وتتناسل اللاحقة من السابقة حتى تكتمل القصة .

- قصص سليمان عليه السلام :

١ - فى سورة ص (٣٨)

١ - سليمان والصفافات الجياد (٣٠ - ٣٣)

٢ - فتنة سليمان (٣٤)

٣ - استغفاره ، وسؤاله ملكا لا ينبغى لأحد بعده (٣٥)

٤ - ملك سليمان (٣٦ - ٤٠)

تحكى الأحداث قصة عبد أواب ﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠) ﴿ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ جِزَاءَ أُوبِيَّتِهِ .

ب - فى سورة النمل (٤٨)

- ١ - ملك سليمان (١٥ - ١٩)
- ٢ - مجىء الهدد بخبر سبأ (٢٠ - ٢٦)
- ٣ - كتاب سليمان إليهم (٢٧ - ٣٤)
- ٤ - هدية الملكة إلى سليمان (٣٥)
- ٥ - رفض الهدية ، و تهديدهم بالحرب (٣٦ - ٣٧)
- ٦ - انتقال عرش الملكة عند سليمان (٣٨ - ٤٠)
- ٧ - تتكبر العرش وتعرفها عليه .. (٤١ - ٤٣)
- ٨ - إسلام ملكة سبأ (٤٤)

تحكى الأحداث عن ملك سليمان ، وعما آتاه الله من علم بمنطق الطير ؛ فالهدد سيخبره بخبر سبأ ، والمرأة التى تحكمهم ؛ تمهيدا لدعوتهم إلى الإسلام . وعندما يريد عرش الملكة يأتية به الذى عنده علم من الكتاب قبل أن يرتد إليه طرفه ، ثم إنه لا يقبل هدية الملكة التى كانت بغرض اختباره ، ويخبرنا السياق أن عدم قبوله الهدية كان سببا فى مجىء الملكة إليه ، ومن ثم إسلامها معه لله رب العالمين ؛ وكأنه لو قبلها لكان للأحداث التالية شأن آخر .

ج - فى سورة سبأ (٥٨)

- ١ - ملك سليمان (١٢)
- ٢ - تسخير الجن له (١٢ - ١٣)
- ٣ - موته ، وإدراك الجن لذلك (١٤)

تعرض الأحداث فضل الله على الشاكرين ، وعلم الجن المحدود بحدود الظاهر ، أما الغيب فهو من علم الله وحده لا يشركه فيه أحد .

- تعقيب : ما زال يتأكد لنا مرة بعد مرة ، دور السياق في تحديد الوظائف المختارة من تاريخ الشخصيات ، وصولاً إلى هدف تسعى القصة إلى تحقيقه ؛ ففي سورة ص نبدأ مع قوله تعالى ﴿ ص وَالْقُرْآنَ الَّذِي ذُكِّرَ (١) ﴾ ويستمر السياق مع الذكر والتذكير ، فالقرآن نزل ذكراً وتذكيراً لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولقومه ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) ﴾ ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) ﴾ فسليمان العبد الأواب الذي آتاه الله الملك جزاء أوابيته ، لم يكن شيء أحب إليه من ذكر الله ، ونرى كيف تتوافق الوظائف المذكورة له ههنا مع السياق العام للسورة ، بدءاً من انشغاله بالصافنات عن ذكر ربه ، وإسراعه بالتوبة إلى الله وسؤاله ملكاً واسعاً منحه الله إياه . وفي سورة النمل يخبر الله رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) ﴾ وهذا الحكيم العليم هو الذي أتى داود وسليمان العلم ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ... (١٥) ﴾ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ وهو الذي أعطى محمداً القرآن آية بينة . والله تعالى وحده عالم الغيب ، والجن الذين عملوا لسليمان كل ما عملوا ، لا طاقة لهم على معرفة شيء منه ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) ﴾ سبأ .

- قصة أصحاب الكهف :

أ - إجمال :

الإيواء إلى الكهف ، النوم ، البعث (٩ - ١٢)

ب - تفصيل :

١ - الإيواء إلى الكهف (١٣ - ١٨)

٢ - بعثهم ، والعتور عليهم (١٩ - ٢١)

٣ - الاختلاف في عددهم ، وفي مدة لبثهم في الكهف (٢٢ - ٢٦)

تبدأ الحكاية بعرض موجز ، يُجمل أحداث الإيواء إلى الكهف ، والنوم ، والبعث . ثم يُفصل الحديث بعد ذلك عن هؤلاء الفتية المؤمنين الذين فروا بدينهم إلى الله ؛ فأواهم ونصرهم وجعلهم للناس آية .

- قصة قارون :

- في سورة القصص :

١ - قارون وبغيه على قومه (٧٦)

٢ - نصح قومه له (٧٦ - ٧٧)

٣ - اغتراره بما عنده ، واستكباره أن يقبل النصح (٧٨)

٤ - افتتان الضعفاء به (٧٩)

٥ - نصح المؤمنين لهم (٨٠)

٦ - انخساف الأرض بقارون وداره (٨١)

٥ - انتباه الضعفاء من غفلتهم (٨٢)

إنها قصة قارون وبغيه على قومه ، واستكباره أن يقبل نصيح الناصحين منهم ؛ فكان أن خسف الله به وبداره الأرض . ولنر كيف تتناسل الوظائف ؛ اللاحقة من السابقة : فقد انتبه الضعفاء من غفلتهم ؛ لأنهم رأوا ما حاق بقارون من خسف له ولداره ؛ وقد حدث هذا الخسف نتيجة لكبره وبغيه .

- قصة أصحاب الجنة :

- فى سورة القلم :

١ - عزمهم على الانفراد بثمرها دون المساكين (١٧ - ١٨)

٢ - إهلاك الجنة أثناء نومهم (١٩ - ٢٠)

٣ - الاجتماع ، والذهاب لجمع ثمار الجنة (٢١ - ٢٥)

٤ - التلاوم والرجوع إلى الله (٢٦ - ٣٢)

إنها قصة نفر عادوا إلى ربهم نادمين ؛ لأن ربهم عجل لهم العذاب ؛ حيث انتووا الانفراد بما آتاهم من نعيم .

- قصة ابني آدم :

- فى سورة المائدة :

١ - القربان (٢٧)

٢ - التهديد (٢٧ - ٢٩)

٣ - القتل (٣٠)

٤ - مجيء الغراب (٣١)

٥ - الندم (٣١)

ما تزال ميزة القصص المفرد التي تتجلى في تماسك وظائفه تظهر في قصة ابني آدم : فالقاتل من ابني آدم ندم ؛ لأنه عجز أن يكون مثل الغراب ؛ إذ لم يوار سوء أخيه حيث قتله ؛ وقتله ، لأن الله تقبل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه ؛ والله لم يتقبل قربانه ، لأن الله إنما يتقبل من المتقين . فابن آدم (القاتل) لم يكن من المتقين ؛ فلم يتقبل الله قربانه ؛ فتوعد أخاه الذي تُقْبَل منه ؛ وقتله ؛ ولم يدر ما يفعل به ، حتى رأى غرابا يبحث في الأرض ؛ ليعلمه كيف يوارى سوء أخيه ؛ فندم إذ اكتشف عجزه عن أن يكون مثل هذا الغراب .

- قصة صاحب الجنتين :

- في سورة الكهف :

١ - رجلان أوتى أحدهما زينة الحياة الدنيا (٣٢ - ٣٤)

٢ - مفاخرته لصاحبه ، ونصح صاحبه له (٣٤ - ٤١)

٣ - ضياع الجنتين ، والندم (٤٢ - ٤٣)

إنها قصة غافل ضاعت جنتاه ؛ حيث لم يؤد شكرهما لله المانح ، وتكبر وتاه بما عنده . لقد ندم ؛ لأن الجنتين قد ضاعتا ؛ وهما قد ضاعتا لأنه لم يؤد شكرهما ؛ وهو لم يؤد شكرهما لأنه ظلم نفسه بجحود نعمة ربه .

- قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام :

١ - في سورة مريم (٤٤) :

- ١ - زكريا يُرزق ببيحيى (٢ - ١٥)
 - ٢ - قضاء الله بكون عيسى من مريم بغير أب (١٦ - ٢١)
 - ٣ - ميلاد المسيح (٢٢ - ٢٦)
 - ٤ - عودة مريم إلى أهلها ، وكلام عيسى فى المهد (٢٧ - ٣٣)
- ههنا قصة ميلاد عيسى ، ومعجزة طفولته .

ب - فى سورة الأنبياء (٧٣) :

- ١ - زكريا يُرزق ببيحيى (٨٩ - ٩٠)
- ٢ - مريم وابنها آية للعالمين (٩١)

وههنا قصة فضل الله على عيسى ووالدته .

ج - فى سورة آل عمران (٨٩) :

- ١ - ميلاد مريم (٣٥ - ٣٧)
- ٢ - مريم فى كفالة زكريا (٣٧ - ٤١)
- ٣ - اصطفاء الله لمريم (٤٢ - ٤٣)
- ٤ - تبشيرها بعيسى (٤٥ - ٤٨)
- ٥ - رسالة عيسى (٤٩ - ٥١)
- ٦ - كفر بنى إسرائيل ومكرهم (٥٢ - ٥٤)
- ٧ - رد مكر الكافرين (٥٥ - ٥٧)

تبدأ الأحداث من قبل ميلاد مريم المنذورة لله ، التي تولد ويكفلها زكريا ، فيرى من كراماتها ما يجعله يدعو ربه أن يهبه ذرية طيبة ؛ فيستجيب الله له ويهبه يحيى مع كبره وعقر امرأته ، وبعد ذلك يهب مريم ولدا بقدرته التي وهبت زكريا من قبل الولد - ومن ثم يعده للرسالة ويرسله إلى بنى إسرائيل مؤيِّدا بالمعجزات ؛ فيكفرون به مع ذلك ، ويمكرون به ، فينجيه الله من مكرهم .

د - فى سورة المائدة (١١٢)

١ - تذكير الله لعيسى ابن مريم بنعمته عليه وعلى والدته (١١٠)

٢ - إيمان الحواريين ، وطلبهم المائدة (١١١ - ١١٤)

٣ - إنزال المائدة ، وتوعد الكافرين (١١٥)

٤ - حوار - بين الله وعيسى - حول وحدانية الله (١١٦ - ١١٨)

تدور الأحداث حول قضية التوحيد : فالله تعالى قد أنعم على عيسى وعلى والدته ، وجمع حوله قلوب الحواريين ، فهو ربه الخالق المتصرف ، ثم يؤكد للمكذبين كذبهم ؛ إذ لم يقل عيسى للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله ، بل دعاهم إلى عبادة الله ربه وربهم .

- تعقيب :

تقترن قصة عيسى دائما بقصة زكريا عليهما السلام ، التي تأتي تمهيدا لهذا الحدث الخارق (ميلاد بغير أب !) وفى المائدة ليست القصة فى حاجة إلى هذا التمهيد (بقصة زكريا) لأننا فى القيامة وفى الحساب ، حيث لا دعوة ، ولا إيمان ، ولا كفران ، وإنما جزاء على ما كان .

- خصائص المتن القصصى فى القرآن الكريم :

رأينا ، فيما مر علينا من قصص قرآنى ، أن ثمة قصصا يرد أكثر من مرة فى مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم ، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط ، وأن النوع الأول يأتى فى كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف ، كما رأينا فى قصص : آدم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ... وفيها جميعا ، نجد نواة وظيفية تتكرر ، فيما عدا قصص آدم الذى يمثل مقدمة وسببا فى وجود هذه النواة : نقرأ فى ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٩) ۞ ثم تتوالى القصص بعد ذلك : يأتى الهدى من الله ؛ فيتبعه الناجون ، ويكذب به الهالكون . ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التى انبنى عليها جميع القصص التالى :

١ - الدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ - الرفض والاستكبار .

٣ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

هذه البنية تقابلنا فى كل مرة فى القصص المذكور ، تتغير الشخصيات ، بينما تظل وظائفها ثابتة : تظل الدعوة ، ويظل التكذيب ، وتظل العقابة ... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها ، كلما كانت فترة نسي فيها الإنسان عداوة الشيطان ، ووعيده القديم .

غير أن الهدف الذى تأتى من أجله القصة - من قصص النبى الواحد - يجعلها تختلف ، فى كل مرة ، فى بنيتها الوظيفية فىكون التركيز على وظائف دون غيرها ، ويكون بحضور وظائف أو غياب أخرى ؛ مما يؤثر فى متتالية الوظائف ؛ فيجعلها بالتالى قصة جديدة فى كل مرة كما مر بنا من قبل .

وأما القصص مفرد الذكر في القرآن ، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه ، تماسكا منطقيا ،
زمنيا في الوقت ذاته ، بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطى تسلسلي ، غالبا ،
وكل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق .

٢ - شخصيات السرد

تحدثنا فيما مر عن المكون الأساسي الأول للمتن الحكائي (الأحداث) ونبينا الآن المكون الأساسي الثاني وهو الشخصيات . ولكي نتعرف على شخصياتنا الحكائية في قصص القرآن أمامنا أكثر من طريق : فهناك الأفعال التي تقوم بها الشخصية ، والأوصاف التي توصف بها ؛ وهناك أيضا ما تقوله الشخصية عن نفسها ، وما يقوله عنها الآخرون ، سواء كانوا معها أو ضدها . وأهم من كل هذا ، هناك العلاقات القائمة بين تلك الشخصيات ، والتي تقوم بدور كبير في الكشف عن طبيعة الشخصية السردية .

- في قصص آدم عليه السلام :

يقابلنا ثلاث شخصيات ، هي : الملائكة ، وآدم ، والشيطان :
الملائكة : كائنات مفعورة على الطاعة ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ في سور : البقرة ، والأعراف ، والإسراء ، والكهف ، وطه ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ في سورتي : الحجر ، وص : فهي كما نرى نماذج للطاعة والتسليم دون مراجعة أو إبطاء .

الشيطان : يظهر في هذا القصص نموذجا للعصيان المطلق ، والاستكبار ، والحق ... خلقه الله من نار السموم ، فلم يحجم عن عصيان أمر ربه بالسجود لآدم ؛ وتبجح واستكبر معلنا رأيه ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لَيْسَ لِي خَلْقٌ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٣٣) الحجر ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٦١) الإسراء ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢) الأعراف - غافلا عن ذلك العنصر الكريم الزائد على الطين في آدم ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ في سورتي : الحجر (٢٩) و ص (٧٢) أعماه الحسد لهذا

المخلوق ، ثم ما لبث هذا الحسد أن تحول إلى حقد طاغ ؛ حين أخرج من الجنة مطرودا من رحمة ربه ؛ إذ رأى أن آدم هو السبب في كل هذا ؛ فأعماه حقه ، مرة أخرى ، عن التوبة والاستغفار ، وقد أنظر إلى يوم البعث ، فعقد العزم على الانتقام من آدم وذريته ؛ وتبجح أمام ربه مجددا ؛ مقسما ليغوين ذلك المخلوق الذي كرمه الله ، ولا يترك في سبيل ذلك طريقا إلا سلكه ، ولا جهدا إلا بذله .

وآدم : نموذج ثالث ؛ خلقه الله من صلصال من حمإ مسنون ؛ ثم نفخ فيه من روحه ، وأولاه رعايته دائما ؛ فأمر الملائكة بالسجود له تكريما ، ثم حذره من إبليس عدوه الأول - و حتى بعد أن أغواه إبليس بالأكل من الشجرة المحرمة ، نجد الله لا يتركه ، لأنه لا يتمسك بالمعصية كإبليس بل يتوب عنها ، فيتوب الله عليه ، ويهديه إلى طريق الجنة إذا أراد أن يعود ؛ فهو يرعاه دائما .

فشخصية آدم ليست كالملائكة في طاعتهم المطلقة . وليست كالشيطان في عصيانه المطلق ؛ بل هي نموذج متوسط بينهما ، لديه استعداد مزدوج لأن يكون مطيعا ، أو أن يكون عاصيا . فهو يترجح بين الحمأ المسنون (مادته التي خلق منها) وبين ما فيه من روح الله ، وميزان ذلك إرادة منحها الله إياه ﴿ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٥) البقرة ﴿ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩) الأعراف ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (١١٧) طه ؛ فالله يربى فيه هذه الإرادة بمنعه من الشجرة في الجنة وبتحذيره من الشيطان فلا ينسى عهد الله . لكن آدم ليس ملكا ، وإن فيه لضعفا يستغله الشيطان ، وينفذ إليه منه ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (٢٠) وقاسمهما إني لكم لمن الناصحين (٢١) ﴿ الأعراف ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ

- فى قصص نوح عليه السلام :

نجد نموذج الخير متمثلاً فى رسول الله إلى البشر - نوح - الذى أطاع أمر ربه ، وصبر على قومه وتكذيبهم إياه واضطهادهم له مدة الرسالة ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (١٤) ، العنكبوت . لم يقعد عن دعوتهم ، ومحاولة هدايتهم إلى الحق الذى لا يرون ، وإزالة غشاوة الباطل عن قلوبهم ، وتبصيرهم بأنوار الإيمان . كان لقومه أخا ناصحاً صادقاً فى نصحه ، أخذهم باللين وتلطف معهم ، مقابل اتهاماتهم وتكذيبهم إياه بسماحة النبى وتلطفه ، وثاقاً بالحق الذى جاءهم به ، مطمئناً إلى ربه الذى أرسله ، لا يقابل تبجحهم بمثله ، شأن الكبير النفس إذ يتغاضى عن زلات صغار النفوس ؛ أملاً فى إصلاحهم ؛ لكنهم لا يراعون ، فيكشف لهم جانباً من الحقيقة ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٣١) هود . إنه لا يعدهم بشيء لأنه لا يملك شيئاً ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (١١٥) الشعراء . من أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه فقد أبى ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٤) هود . ثم تحداهم جميعاً ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (٧١) يونس . وحين تمادوا فى غيهم استنصر بربه ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ (١١٧) ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٨) الشعراء .

ونجد النموذج المقابل - نموذج الشر - أتباع الشيطان - وهم الملائكة المستكبرون من قومه ، لا يرون الحق ، ولا يشعرون بالخير ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (٦٤) ﴿ الْأَعْرَافِ ﴾ ؛ هذا وصفهم ، وهذا فعلهم - التكذيب - لا عن رأى وحجة وبصيرة ، وإنما عن استكبار ، واستعلاء ، وتجبر ؛

نقرأ قولهم فى الأعراف ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٦٠) ولا يقولون شيئا بعدها ؛ وفى هود يقولون : ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) فهو بشر ، وأتباعه من السفلة الضعاف ، ولا فضل لهم جميعا من مال أو جاه أو سلطان ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ قُتِرَ بَصُورًا بِهِ حَتَّى حِينَ (٢٥) ﴿ الْمُؤْمِنُونَ . وَحِينَ غَلَبُوا بِالْحِجَّةِ وَضَاقَتْ صُدُورُهُمْ عَنِ الْحَقِّ ﴾ قالوا يَالنُّوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُتِرَتْ جِدَالُنَا فَاتَيْنَا بِمَا نَعِدُّنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) ﴿ هود . تاركين الجدل إلى التحدى ، فزعين إلى ما لديهم من قوة وسلطان ﴿ قالوا لئن لم تنته يَالنُّوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (١١٦) الشعراء هذا هو نموذج الشر متمثلا فى المترفين المطموس على قلوبهم ؛ لا يرون حقا ، ولا ينكرون باطلا ، إنما هى الدنيا ، والمجد فيها والعلو و السلطان ، فإن كانت رسالة فلتكن لإعلاء هذا السلطان ، كلامهم محدود (جهلا) يعتمدون على قوتهم المادية ، ولا يقبلون توجيهها أو إرشادها .

و ثم نموذج ثالث : المؤمنون مع نوح ، نراهم من منظورين مختلفين : من منظور الكافرين ؛ فهم أراذل ، سفلة فقراء ، ضعفاء ، لا رأى لهم ولا نظر ، وفى هود نقرأ ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُادِي الرَّأْيِ ﴾ وفى الشعراء ﴿ قالوا انؤمن لك واتبعك الأرئلون ﴾ (١١١) ﴿ وفى سورة هود يعرض نوح نظرته لأصحابه ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ .

ونراهم من منظور نوح عليه السلام : مؤمنين ، مهتدين ، عرفوا الحق فاتبعوه ﴿ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٢٩) ﴿ هود ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٤) ﴿

الشعراء . وهكذا لا نسمع منهم شيئاً ، و إنما نعرفهم من خلال ما يقال عنهم ، أو من خلال ما يوصفون به ، دون أن يظهروا ، أو أن يظهر من أفعالهم غير الإيمان والتسليم .

ـ فى قصص هود عليه السلام :

نجد النموذجين المتقابلين : الخير ، والشر . نموذج الخير المتمثل فى نبي الله هود ، المرسل من ربه بالهدى إلى قومه ، ليدعوهم إلى ترك سبيل الشيطان ، واتباع هدى الله - فى صبر ، وحلم ، وإحسان ، وإغضاء عن سفههم وسوء أدبهم ؛ ثم فى حسم ، وإنذار ، وتوعد .

وفى المقابل نجد نموذج الشر متمثلاً فى الملأ المستكبرين ، المكذبين ، المستهزئين من قومه ، إنهم خلفاء الملأ من قوم نوح ، أعطوا بسطة فى الأبدان ، وقوة فى السلطان ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً (٦٩) ﴾ الأعراف ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ (٥٢) ﴾ هود ﴿ وَأَثَرَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣٣) ﴾ المؤمنون ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيِّنَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ (١٣٤) ﴾ الشعراء ؛ أنجز فيهم الشيطان وعده ؛ فقادهم إلى الكفر والبطر ؛ فكانوا يستخدمون قوتهم فى التفاخر والتباهى والعبث ﴿ أَنْبِئُونْ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) ﴾ الشعراء ﴿ قَامًا عَادًا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقُّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (١٥) ﴾ الشعراء .

هكذا صفتهم : ضخام الأجسام ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، إنما يتجهمون فى شراسة ورعونة على ما يخالف مألوف قلوبهم ، وما اعتادت عقولهم ﴿ قَالُوا أَحِثْنَا لِلْعِبَادَةِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرِ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا (٧٠) ﴾ الأعراف

﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٣) هود . فتحدوا - بجهلهم - نبي الله دون تدبر لما جاء به ﴿ فَأَتَيْنَا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٧٠) الأعراف ؛ إغلاقا لباب النصيح والإرشاد من نبي الله لهم ، وتكذيبا لإنذاره ، واستهزاء بصدقه فيما جاء به من ربه ، فكان هلاكهم ، ثم صفتهم بعد موتهم ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٧١) القمر . أو ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (٧٢) الحاقة ؛ لضخامة أجسامهم ، وقوتهم التي لم تغن عنهم من الله شيئا .

وأما النموذج الثالث ، الذين آمنوا مع هود فلم يذكروا إلا مرتين : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ الأعراف ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَلُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٥٨) هود .

ـ فى قصص صالح عليه السلام :

النموذجان ذاتهما : الخير المتمثل دائما فى المرسل بالهدى من الله إلى قومه - نبي الله صالح ، بصفات النبوة الثابتة .. يدعو إلى الله ، و يصطبر على دعوته ، وعلى قومه ، ولا ييأس من هدايتهم . هذه وظيفته يؤديها واتقا بالحق الذى يدعو إليه ، مطمئنا بالله الذى أرسله .

ونموذج الشر المتمثل وهنا فى ثمود ، قوم صالح ، أصحاب الحضارة العمرانية الواضحة ، إذ يقول لهم نبيهم : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ... ﴾ (٧٤) الأعراف ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود . و يقول لهم ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ ﴾ (١٤٦) فى جنات وعيون (١٤٧) وزروع

وَنَخَلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنَحُّنُونَ مِنَ الْحِیَالِ بُيُوتًا قَارِهِينَ (١٤٩) ﴿ الشعراء ﴾ . كانوا فى سعة من العیش ، و نعمة ، وترف ، لكنهم كسابقيهم لم يشكروها ، بل كفروا بها ، واستكبروا ، وكذبوا و عتوا عن أمر ربهم . وأنكروا نبوة صالح ، وهزءوا بدعوته ، وتعجبوا لصدورها منه وكان يؤمل فيه الخير من قبل ! لقد فسدت فطرتهم من طول ملازمتها للباطل ومجافاتها للحق ، فصارت ترى الحق باطلا ، والباطل حقا ؛ ثم اشتطوا فطلبوا آية ؛ فجاءتهم ؛ فكذبوا بها . وتبجحوا بطلب العذاب ، وتآمروا على قتله وأهله .

والنموذج الثالث موجود هنا بصوته ، حين اتجه إليهم الملأ الذين استكبروا من قوم صالح يتهددونهم وهم المستضعفون : ﴿ اَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أجابوا فى ثقة المؤمن ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ إنهم أقوياء بإيمانهم ، والمستكبرون يشعرون بهذه القوة : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٧٦) الأعراف . وكأنهما فريقان متساويان ؛ متقابلان .

— فى قصص لوط عليه السلام :

ههنا نجد نموذجى الخير والشر ، ينضاف إليهما نموذج الملائكة ، الذى رأيناه من قبل ؛ وقد كانت كائنات مفطورة على الطاعة والتسليم دون إبطاء . وهنا نراهم قليلى الحديث ، يقولون حسب الحاجة ، ويبلغون أمر الله دون تزيد . جاءوا إبراهيم ؛ فأعد وليمته وقدمها إليهم ، وجلس ينتظر أن تمتد أيديهم إليها كل هذا دون أن يدور بينهم حوار يعرفهم فيه ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴾ (٧٠) ﴿ هود ﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) ﴿ الحجر ﴾ .

ثم يتماهى حديثهم فى حديث الرحمن سبحانه ﴿وَأَمْرَئُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١) ﴿هود . فهم كما نرى مؤدون عن الرحمن ، منفذون إرادته ومشينته ، إنهم لا يفعلون شيئاً من تلقائهم ، ولا يقولون من عندهم ، إنهم ممثلوا الرحمن فى الأرض رسلاً إلى البشر ، إيمانهم بالله مطلق ﴿قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٣) ﴿هود . ثم يحدث التماهى مرة أخرى ، ويتأكد تمثيلهم لله وقيامهم بأمره ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَايِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤) ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٧٥) ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَالْهُمَّ ائْتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (٧٦) ﴿هود . وفى الحجر ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ (٥٨) ﴿إِلَّا عَالِ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٩) ﴿إِلَّا أَمْرَئُهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمِينَ الْغَائِرِينَ﴾ (٦٠) ﴿فمن الذى يقدر غير الله .

ويعودون إلى صمتهم مرة أخرى عند لوط الذى ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧) ﴿هود . وتركوه فى حيرته وضيقه ، يجادل فيهم قومه ، حتى ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ...﴾ (٨١) ﴿هود .

ونجد نموذج الخير فى لوط الرسول ، الذى جاء بالخير إلى قومه ، يدعوهم إلى ترك ما هم فيه من شذوذ ، وينذرهم عاقبة ذلك ، ويدافع عن ضيفه بكل ما يملك .

ونموذج الشر فى قومه : قوم شواذ ، منحرفوا الفطرة ، فاسدوا المزاج ، مسرفون على أنفسهم ، ظالمون لها ، ابتدعوا فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين ، فيقول لهم نبيهم : ﴿أَنْتُمْ لِنَائِثُونَ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ العنكبوت . يدعوهم إلى الهدى فلا

يزيدون إلا عتوا ، وتبجحا ، وضللا ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ(٨٢) ﴾ الأعراف . وفى النمل : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ(٥٦) ﴾ بعد أن هددوه ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ نَنْتَهُ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ(١٦٧) ﴾ الشعراء . لكنهم لم يصبروا فاستسرعوا العذاب : ﴿ قَالُوا انْتَبَإُ يَعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٢٩) ﴾ العنكبوت ؛ فالقلوب لاهية ، والعقول مريضة ، والشهوة فائرة حائرة .

– فى قصص شعيب عليه السلام :

النموذجان المتقاطبان : الخير ، والشر – شعيب نموذج الخير : كسابقه من الأنبياء ، ويزيد فصاحة فى مراجعته لقومه ، وحسن تأتبه فى دعوته لهم إلى الإيمان برسالته ، ومع ذلك يقابلنا لأول مرة اتهام قوم لنبيهم مثل هذا الاتهام ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ ... (٩١) ﴾ هود .

وقومه ، نموذج الشر ، أتباع الشيطان ، مشركون ، مفسدون فى الأرض ، يبخسون الناس حقوقهم ، بتطفيف الكيل ونقصان الوزن ، ويقطعون السبيل ويخيفون المارة فيه ، ويعبدون الأيكة ، ويصدون الناس عن سبيل الله ، ويفتنونهم عن الدين الحق . حين دعاهم شعيب إلى انتظار حكم الله ، ولكل دينه الذى يدين ؛ لم يرضوا أن يكون للحق وجود ، وتبجحوا بقولهم : ﴿ لَخُرَجَتْكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا.... (٨٨) ﴾ الأعراف . فإما كفر معهم ، أو إخراج من بينهم . ومن قبل سخروا منه ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧) ﴾ هود . هكذا قادمهم هواهم ، وهكذا تحجرت عقولهم ، فلم تعد تعقل ولا تتدبر ، فلم يبق إلا الهراء والسخرية

﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ثم أعلنوا عن موت قلوبهم ، وجمود عقولهم عن الفهم الصحيح ، واختصروا الجدل ، متكئين على قوتهم ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ (٩١) ﴾ هود . وقالوا كما قال الذين من قبلهم : ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) ﴾ الشعراء . ومن ثم يظهر الجهل ، وتظهر الجهالة والاستهتار ﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) ﴾ الشعراء .

والنموذج الثالث : يتحدث عنهم شعيب ، فهم منه ، وهو منهم ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ... (٨٦) ﴾ الأعراف . ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ (٨٧) ﴾ الأعراف . ﴿ لَخَرَجْتُكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قُرَيْبِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ... (٨٨) ﴾ الأعراف . ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِيَّنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ... (٩٤) ﴾ هود .

– فى قصص موسى عليه السلام :

فى هذا القصص نلتقى بشخصيتين رئيسيتين : موسى ، وفرعون . موسى نموذج الخير ، المرسل بالهدى من الله إلى آل فرعون ليساعدهم على الخلاص مما هم عليه من كفر وفساد ، رعاه الله منذ مولده ﴿ وَالْقَيْنُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ﴾ طه . وآتاه العلم والحكمة ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَانَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) ﴾ القصص وفيما بعد ذلك يتجلى أثر هذا العلم وتلك الحكمة فيما يأتى به من أفعال ، أو يجرى على لسانه من أقوال ؛ فهو رابط الجأش ، ثابت الجنان ، فصيح فى كل حواراته مع ربه : فى التعبير عن أهم متطلبات الدعوة ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي (٢٧) ﴾

(٢٧) يَقْفَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اسْتَنْدُ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) طه . ومحاذير يخشاها . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون (١٤) الشعراء . وحين سُئِلَ عن عصاه . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) طه . وكان مازال يعاني رهبة اللقاء الأول بربه . وهو كذلك فصيح في كل حواراته مع فرعون . قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) الشعراء . تتجلى هنا فصاحة موسى عليه السلام في رده على فرعون حيث لم يراع ترتيب كلامه فبدأ بتنفيذ اتهامه له بالكفر " بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربنا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ، ثم كر على امتنانه له بالتربية ، فأبطله من أصله " (١) ؛ فنعمة فرعون التي يمنها على موسى لم تكن في حقيقة أمرها غير نقمة ابتلى بها قومه بنو إسرائيل ؛ إذ لولا اضطهادهم لهم ، وما كان من تقتيله لأبنائهم ، لما لقي موسى في اليم ، ولما وصل إلى بيت فرعون وتربى فيه .

وأما هربه من الجان الذي انقلب عن عصاه ؛ فلأنه كان لم يستوعب الأمر بعد ، وما زال الغموض والرهبة يملآن جوانب اللقاء الأول بالله رب العالمين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الخوف الشديد الذي انتابه ، سيتحول إلى طمأنينة شديدة فيما بعد ، وهو يواجه سحرة فرعون لا بشيء غير تلك العصا الذي رأى من أمرها ما رأى . وثم موقف آخر كان أولى بالخوف والهلع ، لكنه كان فيه ثابتا ، وذلك حين تبعهم فرعون وجنوده ، وأيقن بنو إسرائيل أنهم

(١) الزمخشري : الكشف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . ط ٣ القاهرة ١٩٨٧ : ٣ / ٣٠٦

مدركون ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴿ وأما إلقاء الألواح ، وأخذه برأس أخيه يجره إليه (الأعراف ١٥٠) فإنما كان ذلك غضبا لله مما فعل بنو إسرائيل في غيبته ؛ حيث عاد من ميعاد ربه فوجدهم يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامري . ذلك الغضب الذي يتبدى لنا مرة بعد مرة في قصته مع العبد الصالح ، فبعد أن وعده بأن يكون متعلما صابرا ولا يعصى له أمرا ؛ نجد طبيعة الغضب للحق تنسيه هذا الوعد ، وكان بعد لم يعرف الحكمة من أفعال الرجل ؛ لقد كان يرى الحق حقا فيؤيده ، ويرى الباطل باطلا فينكره ، ويغيره إن استطاع ؛ إنه ليس نموذج الزعيم المندفِع العصبى المزاج (٢) ربما اندفع مرة في شبابه فقتل عدوه القبطى ، حين رآه يقاتل الذى هو من شيعته ، لكنه لم يلبث أن عاد إلى ربه نادما على ما فعل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٦) وكان ذلك منه غضبا للحق الذى يراه ويؤمن به ، فهو لا يرضى عن ذلك القهر والاضطهاد الذى يمارسه قوم فرعون مع بنى إسرائيل . وكما رأينا فقد صدرت أفعاله عن حكمة آتاه الله إياها ، منذ مطلع شبابه ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴾ (١٤) القصص .

وفرعون ، نموذج الشر . المعارض الأول لدعوة موسى عليه السلام ، من صفاته التى تتجلى فى القصص القرآنى من خلال علاقاته بالآخرين : الضعف الشديد ؛ فلم يقاوم الدعوة الجديدة بقوة ، وإنما بخور بين ، وخوف كامن من مجهول ؛ ففى رده على موسى يتساءل فحسب ، وكأنه يريد أن يعرف من أمر ذلك الرب ما يرجح عنده أحد أمرين ؛ فهل هو (فرعون) الإله الأوحد ، أم أن كل هذا محض كذب نشأ عليه ، ولا أساس له من الصحة ، وثم إله آخر يستحق أن يُعبد : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) الشعراء ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ (٤٩) طه

(٢) سيد قطب ، التصوير الفنى فى القرآن . دار الشروق ، ط ١١ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٠٠

﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ حَيْثُ بَآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٠٦) ﴿ الأعراف ، وحين يشتد غضبه لا يفعل شيئا غير أن يتهمة بالسحر ، ويتحداه بسحرته ﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى ﴾ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ (٥٨) ﴿ أو أن يهدده بقول ولا يتحرك لفعل شيء مما يقول : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (٢٦) ﴿ غافر ﴿ قَالَ لَنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ الشعراء . ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ (٥٤) ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ (٥٥) ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ (٥٦) ﴿ الشعراء . هكذا دائما يهدد بالقول ولا يفعل ، كأنما يخاف الاقتراب من موسى لأمر ما . وهو يبدو في مواقف كثيرة قليل العلم ، ضعيف الحجة ، بليد الذهن : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَلْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ ﴾ (١٢٣) ﴿ الأعراف ، وطه (٧١) وفى القصص : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣٨) ﴿ وفى الشعراء : ﴿ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٢٧) ﴿ لذلك يعتمد كل الاعتماد على الملأ من قومه بوجهونه كيف شاءوا : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (١٢٧) ﴿ .

وثم السحرة ، شخصياتهم واضحة محددة ، واتقون مما عندهم من علم ، سواء فى حال اتباعهم فرعون : ﴿ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ (٦٥) ﴿ طه . أو فى حال إيمانهم بالله رب العالمين ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٧٢) ﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٧٣) ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (٧٤) ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ (٧٥) ﴿ جَاءَتْ عَذْرَاءٌ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأنهار خالدين فيها وتلك جزاء من تزكى (٧٦) طه . هكذا وكانهم مؤمنون من زمن بعيد ، ويعرفون كل شيء عن هذا الدين الذى اتبعوه وقدموا نفوسهم رخيصة فى سبيله .

وآل فرعون ، شخصيات خفية ، تنفث سموم أفكارها فى أذن فرعون ، فتقوده إلى هلاكه ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾ الأعراف . يرددون كلام المترفين فى كل عصر لينهوا الموقف فى سرعة ودون جدال كثير ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُقْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى (٣٦) ﴾ القصص . وهم فوق ذلك حاثثون فى وعودهم ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُورَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (١٣٥) ﴾ الأعراف .

وبنو إسرائيل ، هلعون ، شاكون فى نصر الله لهم ﴿ قَالُوا أَوَذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴾ الأعراف . مترددون فى إيمانهم ؛ يعبدون الله تارة ، ويطلبون غيره أخرى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ﴾ الأعراف . قلة عقلهم ظاهرة ، وجهلهم بين ، وإضلالهم من أسهل الأشياء ﴿ وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) ﴾ الأعراف . وفى طه ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) ﴾ .

وفى مدين نقابل أبا المرأتين ، بفطنته الواضحة وذكائه الوقاد ؛ الذى يتجلى فى فهمه قول ابنته على الوجه الذى أرادته هى ، لا على محمل الألفاظ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ(٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ(٢٧) ﴾ القصص .

وتم شخصية هارون أخى موسى ، نقابلها دائما فى هدونها الشديد وورعها وتقواها : حين أخذ موسى برأسه يجره إليه ﴿ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١٥٠) ﴾ الأعراف . وفى طه : ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي(٩٤) ﴾ فى سماعة ولين شديدين .

— فى قصة يوسف عليه السلام :

هنا يقابلنا عدد كبير من الشخصيات : يوسف ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٥) ﴾ هذا يوسف القريب إلى قلب أبيه ﴿ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أُمِّيَنَا ... (٨) ﴾ يحكى لأبيه رؤياه ، فيحذره من إخوته ، الذين يكيدون له ، مع ذلك ، فيجعلوه فى غيابة الجب ؛ فيلتقطه بعض السيارة ؛ فيبيعه لعملى لمصرى يؤمل فيه الخير . نحن هنا أمام غلام يتعامل ببراءة مع الآخرين الذين تربطهم به علاقات : علاقة حب من أبيه ، وعلاقة كراهية من إخوته ، تستمر حتى نهاية القصة ﴿ قَالُوا إِنَّ يَسْرُقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ مِنْ أَبِيهِ ، وعلاقة كراهية من إخوته ، تستمر حتى نهاية القصة ﴾

له ... (٧٧) ﴿ وهناك علاقة أخرى تتمثل في رعاية ربه له حين ألقى في الحب ﴿ وأوحينا إليه لننبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (١٥) ﴾ .

﴿ ولما بلغ أشده عايناه حكما وعِلما وكذلك نجزي المحسنين (٢٢) ﴾ وإحسانه فيما يلي :
﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون (٢٣) ﴾ : شاب يافع ، وأبواب مغلقة ، وامرأة تعرض نفسها ؛ لكنه لا يتلجج بل يردّها في وضوح ، وصرامة ؛ إن سلوكه محدد قبلا ؛ لقد رأى برهان ربه :
رآه هناك حيث ألقى في الحب - ﴿ ولقد هممت به ﴾ ﴿ وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فلم يمل قلبه لشىء من ذلك ، وذلك مثل قوله تعالى ﴿ لولا أن تداركنا نعمة من ربّنا لنبذ بالعراء وهو مدّوم (٤٩) ﴾ القلم ؛ فهو لم ينبذ بالعراء ، لتدارك نعمة ربه له . وامرأة العزيز نفسها تقول في اعترافها بعد ذلك : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ . ﴿ واستبقا الباب وقدرت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ حركة غليان الرجل تبدأ باستباقهما الباب وقدها لقميصه غيظا منه ، وتستمر حين يلفيا سيدها لدى الباب ﴿ قالت ما جزاء من أراد يهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) ﴾ لكن يوسف لم يفعل ، بل لم تحدثه نفسه بشىء من ذلك ؛ فلم يتردد في وصف ما كان : ﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ ثم كان ما كان من أمر الشاهد من أهلها ، والعزيز ، ونسوة في المدينة .

أمامنا الآن شاب يافع ، يتصرف بحكمة مع الآخرين الذين تربطهم به علاقات : علاقة الرغبة من امرأة العزيز ، يقابلها رفضه لتلك الرغبة . وعلاقة الإكبار من نسوة المدينة ، ووجهها المقابل هو غيرتهن من امرأة العزيز ، التي تنتقم منهن ، وتطلب مساعدتهن لها فيما تريد من يوسف ؛ ولكن ثم دائما رعاية ربه له ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ﴾ .

وهناك علاقات أخرى : بين العزيز وامراته ، حيث العزيز مُغَيَّب منذ البداية ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ . موقعه في الكلام مفعول به ، ولم نسمع منه شيئاً إلا بعد أن هدأت الأحداث ، إذ قال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (٢٩) . تاركاً الحال كما هو . وامراته حضورها طاغ ، ضعيفة أمام رغبتها العارمة ، راودت يوسف وقد نشأ في بيتها ، كابنها . قوية الأعصاب لم تتلجلج أمام زوجها وقد رآها في موقف دقيق ، وإنما بادرت بهذهن واع ، وبديهة حاضرة ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٥) . وتمادت في مجونها لترد على مكر النسوة ، ثم تعلن في فجور : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنِي عَنْ نَفْسِي فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ ﴾ (٣٢) .

وابت في السجن بضع سنين ، ظهر فيها علمه بتأويل الأحاديث ، وحكمته ، وإيمانه بالله وحده ، ومن ثم دعوته لصاحبي السجن إلى إفراد الله بالعبادة ، واستخلصه الملك لنفسه ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠) . وهكذا نبأهم بأمرهم ، وسامحهم بقلب كبير ، إنه كان من المحسنين .

– في قصص سليمان عليه السلام :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠) ص ، وكان من أوابيته ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ (٣١) قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) ﴿ ونحن نفهم من الآيات ، أن الصافنات الجياد كانت الفتنة التي فتن بها سليمان ثم أب إلى ربه ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴿ ولنا أن نتساءل عن علاقة الدعاء الذي دعا به : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ - علاقة ذلك بالفتنة التي فتنها ، فالمنطقي أن تكون التوبة عن شيء متضمنة الاعتذار عن ذلك الشيء ، وهو استغفر ربه ثم استوهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ؛ فهل استوهبه ذلك الملك لأنه عقر الصافنات الجياد - مع حبه الشديد لها - تقربا إليه ، فكان الملك الذي وهبه بديلا لتلك الخيل ، يقوم بوظيفتها ويزيد عليها من عطاء ربه ؟ ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) ﴿ أما الجسد : ففعل هذا الوصف كان له بسبب جلوسه لرؤية الخيل ، ومحبا ذلك عن ذكر ربه ، فكان كالجسد الذي لاروح فيه والله أعلم . فنحن مع سليمان ، مع عبد أواب آتاه الله ملكا واسعا ؛ فسخر له الريح ، والشياطين [ص (٣٦ - ٣٨) ، سبا (١٢)] وآتاه علما ، وعلمه منطق الطير النمل (١٥ - ١٦)

ونحن هنا نقابل شخصيات من غير البشر ، تساهم بدور كبير في الكشف عن طبائع شخصية سليمان ، فهناك النملة ﴿ قَالَتْ ثَمَلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨) ﴿ النمل . فالنملة كائن عاقل يفكر ويقول : إذ تحذر النمل من تحطيم سليمان وجنوده لهم ، وهم لا يشعرون ؛ فذلك منهم ليس عن عمد ، فهم ليسوا من الظالمين . وسمعا سليمان فشكر ربه . وهناك الهدد ﴿ وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾

(٢٠) لَعَذَابُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَدَبَحْتَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) ﴿ النمل . فلاحظ غياب الهدد ، ولم يتساهل بل توعدده بالعذاب أو الذبح ، إن لم يأت به بسُلطان مبين ، وقد جاءه به ؛ فلم يشعره برضاه الكامل عنه ﴿ قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتُ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ وهو يعلم صدقه ولذلك يرسله إلى سبأ بكتاب منه ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾ بأمر صاحب القوة والسلطان ، تقول ملكة سبأ ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةَ ... (٣٤) ﴾ وحين ترسل إليه الهدية ينتفض غضبا ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ﴾ ارجع إليهم فلنأتيهم بجنود لا قيل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون (٣٧) ﴾ وكان يتحدث عن فضل الله عليه ، في تعريف مباشر منه لشخصيته ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَقَاطِعَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ وهنا أراد أن يرى ملكة سبأ هذا الفضل من الله ، فنقل عرشها عنده ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ... (٤٠) ﴾ .

ومن صفاته كذلك أنه ، مع ما أوتي من علم ، إلا أن هناك علما كثيرا لم يحط به ؛ يقول له الهدد ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾ فلم يكن يعلم شيئا من أمر هؤلاء القوم .

وثم ملكة سبأ : في وصف الهدد لها ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) ﴾ . كانت تشرك الملائكة من قومها في الرأي ، وكانت هي ذات رأى ودهاء ؛ حيث قالت رأيها في كتاب سليمان ﴿ إِنِّي آتِيَةٌ إِلَيْكَ بِكَرِيمٍ (٢٩) ﴾ . وحيث قالت رأيها في الملوك ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةَ ...

(٣٤) ﴿ وَحَيْثُ رَأَتْ أَنْ تَخْتَبِرَ سَلِيمَانَ بِهَدِيَّتِهَا ﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(٣٥) ﴿ وَحَيْثُ لَمْ تَوْمِنْ إِلَّا بَعْدَ الْيَقِينِ ؛ فَحِينَ رَأَتْ عَرْشَهَا عِنْدَ سَلِيمَانَ أَوْشَكَتْ وَلَمْ تَسْلَمْ ، ثُمَّ لَمَّا رَأَتْ الصَّرْحَ الْمَمْرَدَ مِنْ قَوَارِيرَ ، وَ عَلِمَتْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِ الْبَشَرِ ﴾ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٤) ﴿ .

— فى قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام :

نجد نموذج الخير : عيسى عليه السلام ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ... ﴾ (٢١) ﴿ مريم فكان آية منذ ميلاده ، وكان رحمة ﴿ فَتَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(٢٤) وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا(٢٥) فُكِّلِي وَاشْرِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا(٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا(٢٧) يَاأَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا(٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣) ﴿ ﴿ وَالَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ(٩١) ﴿ الأنبياء . هكذا ارتبط ميلاده بالمعجزة ، وجاء بنى إسرائيل مؤيدا كذلك بمعجزة من الله : ﴿ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ... ﴾ (٤٩) ﴿ آل عمران .

وفى قوله عليه السلام ﴿ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١١٨)
(المائدة . هنا نرى نفسا محملة بالرحمة للإنسانية جمعاء . وحين طلب الحواريون مائدة يأكلوا منها وتطمئن قلوبهم ويعلموا أنه قد صدقهم ويكونوا عليها من الشاهدين ؛ أسرع يطلب إنزال المائدة من ربه رغبة خالصة فى إيمانهم ، وذلك رحمة بهم .

و ثم مريم ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (١٦) سورة مريم ، بما يحمل من معانى الإشراف والاقتراب من النور والهدى ، ثم كان ما كان من حملها وتمنيها الموت قبل هذا ، ثم إتيانها قومها تحمله بعد أن رأت المعجزة ﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩١) الأنبياء . وكانت قد تقبلها ﴿ رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنَ وَأُتْبِئَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٧) آل عمران .

و فى قصة زكريا التى ترتبط بقصة عيسى عليه السلام ، نجد زكريا شيخا ضعيفا ، وحيدا فى قومه ، علاقته بربه وثيقة يناجيه فى حب وثقة ويدعوه رغبا ورهبا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (٤) مريم ، و بعدها حين يُبَشِّرُ بيحيى يطلب آية ؛ فهو بشر وهذا شعور طبيعى لاجتماع النقيضين : الثقة الكبيرة بقدرة ربه على أن يهب له غلاما ، والقلق لطبيعة الحال من كبره وعقم امرأته .

— فى قصة قارون :

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (٧٦) القصص . كان إسرائيلييا باغيا على قومه ، ثريا واسع الثراء ، مغرورا

بماله ، متكبرا على النصيح والعظة ، مصرا على الفساد ، لا يأتى من كلامه إلا قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٧٨) وبعد ذلك يُعرض فى لقطة سريعة ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (٧٩) كانت فتنة لقومه ؛ فانقسموا إلى فريقين :

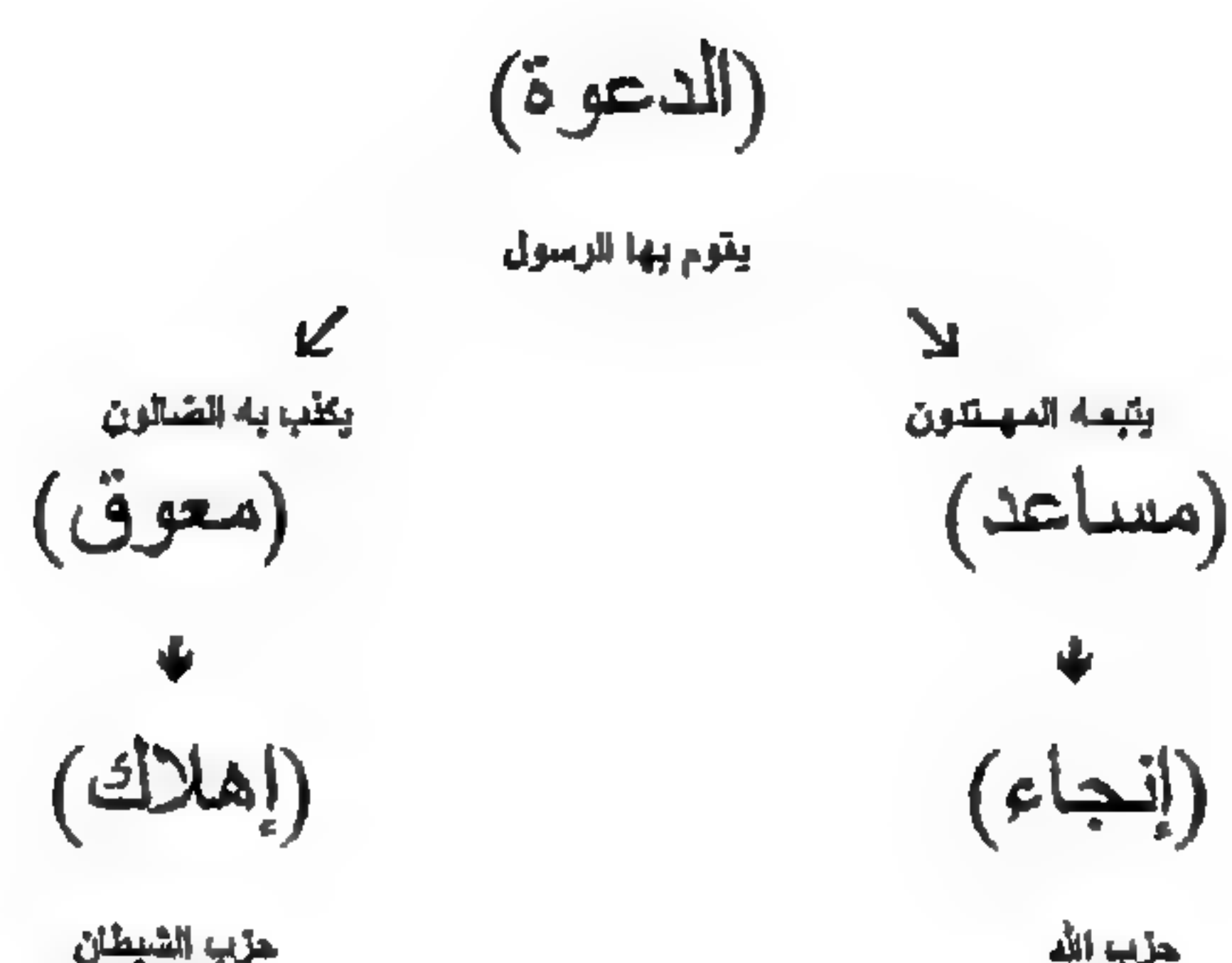
الضعفاء الذين تمنوا مثل ما عنده ظانين أن ما هو فيه رضا من الله عليه . ولم تزل غشاوة أبصارهم إلا بعد هلاكه ، فعلموا أن الله يوسع الرزق ، ويقدره بحسب الحكمة والمشئنة ، لا بحسب الكرامة والرضى ، ولا بحسب الهوان .

والفريق الآخر : المؤمنون ، العقلاء من قومه ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يعلمون الحق ، ويفرقون بين الخير الحق الذى يدوم ، والخير الوهم الذى ما يلبث أن يزول . حاولوا تبصير الضعفاء بالحقيقة التى غابت عنهم ، فالمراد هو ثواب الله فى الآخرة ، أما فى الدنيا فذاك ابتلاء لا رضى .

— تعقيب :

نخلص من هذا العرض لشخصيات السرد بنتيجة واضحة ، هى سيطرة نموذجين متقابلين على شخصيات القصص : نموذج الشر ، ويبدأ مع قصة الخلق الأول ، متمثلا فى شخصية إبليس ، ويمتد إلى بقية القصص متمثلا فى أتباعه السائرين على دربه من المكذبين الضالين ؛ ويقابله نموذج الخير ، الذى يمثله دائما أنبياء الله المرسلون بالهدى منه تبارك وتعالى ، وأتباعهم من المؤمنين المهتدين .

ونستطيع ، مستضيين بالنموذج العاملى عند Greimas^٣ ، أن نضع العلاقات القائمة بين هذين النموذجين فى الشكل التوضيحي التالى :



ومن خلال هذا الرسم نستنتج وجود نوعين من العلاقات : علاقات بين البشر وبعضهم ؛ كعلاقة الرغبة : رغبة الأنبياء فى هداية أقوامهم ، والخلاص بهم من حبائل الشيطان ؛ ورغبة المكذبيين - أتباعا لرغبة قائدهم إبليس - فى الخلاص من المؤمنين ، ورغبة المؤمنين فى هداية الضالين .

وعلاقات بين الله وأنصاره : الرعاية ، والإنجاء من مكر المكذبيين وبطشهم ، والتمكين لهم . وبين الله تعالى وحزب الشيطان من الكافرين المكذبين ؛ اللعنة والإهلاك فى الدنيا والآخرة .

(٢) هذا النموذج وضعه Greimas معتمدا على الفصل السادس بصفة خاصة من كتاب بروب ، حيث استطاع من خلاله بلورة نموذج من ستة محاور متضمنة فى ثلاث علاقات رئيسية ، هى علاقة الرغبة Désir وعلاقة التواصل Communication وعلاقة التنازع Lutte ، انظر ، Jean-Michel Adam, Le récit, P. 59 - 61 ، واعتمد Todorov على هذا النموذج فى تحليله لنسق العلاقات فى رواية " العلاقات الخطيرة " انظر : Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, P. 138 - 144 والأدب والدلالة ، ترجمة محمد نديم خشفة ، ط١ ، ص: ٥٠ .

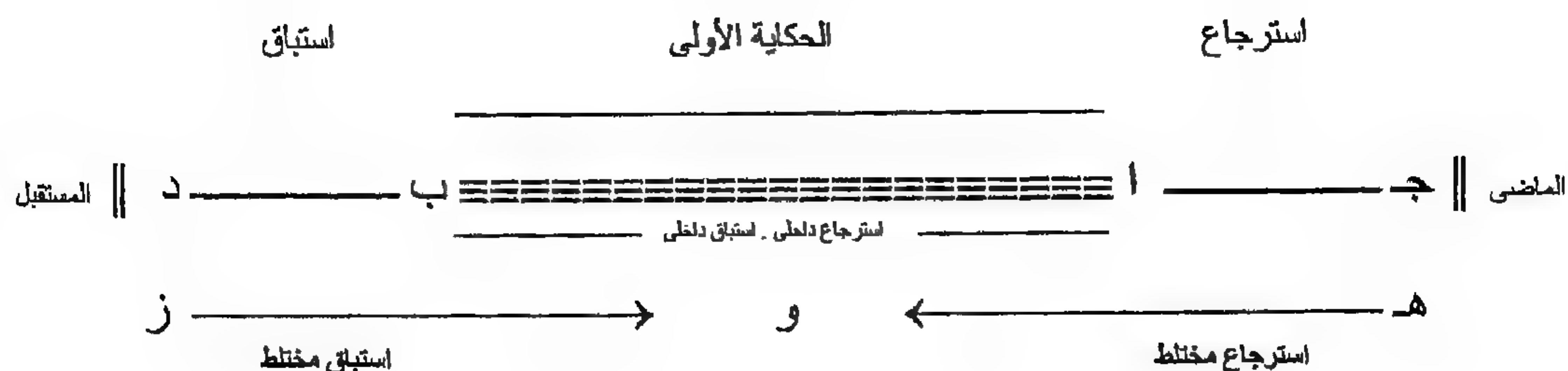
ثانيا - القصة القرآنية بوصفها خطابا سرديا

١ - البنية الزمنية فى السرد القصصى

إن دراستنا للزمن السردى ، تعنى أساسا دراسة العلاقات القائمة بين زمن المدلول وزمن الدال ؛ بين زمن القصة التى وقعت بالفعل ، وزمن السرد الذى يعيد صياغتها ، لا كما وقعت وإنما كما يريد السارد ، تركيزا على أحداث ، وتركيا لأحداث ، تبعا لأهمية بعضها أو عدم أهميته ؛ فإذا كان زمن القصة تاريخى بمعنى أنه يخضع للتتابع المنطقى للأحداث وفقا لتسلسلها الزمنى ، فإن زمن السرد لا يخضع لأى قيد من ذلك ؛ مما يؤدى إلى حدوث ما أطلق عليه Genette اسم المفارقات الزمنية (Anachronies) الذى يعنى مختلف أشكال التناثر الزمنى بين ترتيب القصة ، وترتيب الحكاية ، وهذه المفارقات قد تكون هى بدورها استباقا (Anticipation) لأحداث لاحقة ، أو استرجاعا (Rétrospection) لأحداث ماضية ، ويمكن للمفارقة الزمنية - كما يقول - أن تذهب فى الماضى أو فى المستقبل ، بعيدا أو غير بعيد عن اللحظة الحاضرة ، التى يتوقف فيها السرد ، تاركا مكانا للمفارقة الزمنية ، هذه المسافة الزمنية يسميها مدى المفارقة الزمنية (Portée de l'anachronie) التى ربما اشتملت هى نفسها على مدة قصصية طويلة أو قصيرة ، هذه المدة يسميها سعة المفارقة (Amplitude) (١)

ويمكننا وضع هذا التصور فى الرسم التوضيحي التالى ؛ حيث تمثل المسافة (ا - ب) الحكاية الرئيسية التى يتم حكيها ، وتمثل حاضرا السرد ؛ هذه الحكاية ترتبط بعلاقات مع الماضى (استرجاعات : ج - ا / هـ - و) ومع المستقبل (استباقات : ب - د / ز - ك) :

(١) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972,P.89-90



٢- الاسترجاعات (Analepses) :

هي عودات إلى الماضي تمثل - قياسا إلى الحكاية المندرجة فيها - حكاية ثانية زمنيا ، حيث يتوقف تنامي الأحداث باستعادة أحداث ماضية بالنسبة لزمن السرد " وبصفة عامة ، فإنه بالقياس إلى مفارقة زمنية ما ، يمكن لمجموع السياق أن يمثل حكاية أولى " (٣) .

والاسترجاعات تنقسم إلى ثلاثة أصناف : خارجية ، وداخلية ، ومختلطة : الاسترجاع الخارجى هو ذلك الاسترجاع الذى تظل سعته كلها خارج النطاق الزمنى للحكاية الأولى (٤) . والاسترجاعات الداخلية ، على عكس السابقة ، تظل سعتها محصورة داخل النطاق الزمنى للحكاية الأولى ، والنوع الثالث الاسترجاعات المختلطة ، تكون نقطة مداها سابقة لبداية الحكاية الأولى ، ونقطة سعتها متعدية لها (٥) ؛ الاسترجاعات الخارجية لا تؤشك فى أى لحظة أن

(٢) يقترح محمد سويرتى ترجمة Analepse بالبعدية ، و Prolepse بالقبلية ؛ لأنهما ، فيما يقول ، يقابلان مصطلحي Genette من حيث إبعاد الدلالة النفسية ... انظر ، محمد سويرتى : النقد البنىوى والنص الروائى ، الدار البيضاء ١٩٩١ ج٢ ، ص: ٥٣ وما بعدها .

(٣) Gérard Genette, Figures III, P.90

(٤) Ibid. P.90

(٥) Ibid. P.90-91

تتداخل مع الحكاية الأولى لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال تلك الحكاية عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك ، و ليست لاسترجاعات الداخلية كذلك ، حيث إن حقلها الزمنى متضمن فى الحقل الزمنى للحكاية الأولى لارتباطها بممارسة البداية من الوسط مستعيدة السابقة السردية كلها ؛ لذلك فهي تنطوى على خطر الحشو والتضارب .

- الاستباقات (Prolepses) :

هنا أيضا يميز Genette بين استباقات داخلية وأخرى خارجية ؛ حيث إن حد الحقل الزمنى للحكاية الأولى يتعين بوضوح بواسطة المشهد الأخير غير الاستباقى . فالاستباقات الخارجية كذلك تظل سعتها كلها خارج النطاق الزمنى للحكاية الأولى ، بينما الاستباقات الداخلية تظل سعتها داخل نطاق الحكاية الأولى ، تماما كما فى الاسترجاع الداخلى " و تطرح الاستباقات الداخلية أنواع المشاكل نفسها التى تطرحها الاسترجاعات الداخلية ، مثل التداخل ، واحتمال ازدواج العمل بين الحكاية الأولى والحكاية التى يتولاها المقطع الاستباقى (٦) . والاستباقات التكرارية قلما توجد إلا فى حالة إشارات وجيزة ، تُرجع مقدما إلى حدث سيروى بعد ذلك بالتفصيل - وهى فى ذلك كالاسترجاعات التى من النمط نفسه - وإذا كانت الاسترجاعات التكرارية تؤدي وظيفة تذكير لمتلقى الحكاية ، فإن الاستباقات التكرارية تؤدي دور إعلان له (٧) وهو يفرق ههنا بين الإعلانات الصريحة أصلا ، وما يستحق أن يسمى طلائع ، التى هى مجرد علامات بلا استشراف ولو تلميحى ، لن تكتسى دلالتها إلا فيما بعد " فالطليعة - بخلاف الإعلان - فى مكانها من النص ، ليست - فى الأساس - غير بذرة غير دالة ، بل خفية لن تظهر قيمتها إلا فيما بعد ، وبكيفية استعادية " (٨) .

(٦) Gérard Genette, Figures III, P. 109

(٧) Ibid. P. 111

(٨) Ibid. P. 113

ونتيجة لدراسة العلاقات بين الزمنين (زمن الدال وزمن المدلول) نجده - إلى جانب حديثه عن الترتيب ، أو النظام (L'ordre) - يتحدث أيضا عن المدة أو الديمومة أو الاستغراق ^(٩) (La durée) وعن التواتر (La fréquence) .

فعن المدة يرى Genette أن مقارنة مدة السرد القصصى بمدة القصة التي يرويها هذا السرد ، عملية أكثر صعوبة من دراسة الترتيب والتواتر ؛ وذلك لسبب بسيط هو أن أحدا لا يستطيع قياس مدة سرد ما ، ومن ثم نفتقد النقطة المرجعية أو درجة الصفر التي هي في حالة الترتيب تزامن بين المتتالية القصصية والمتتالية السردية ^(١٠) ، ومن ثم يرى أنه يجب العدول عن قياس تغيرات المدة إلى ملاحظة الإيقاع الزمني ، المتمثل في الحركات السردية الأربع : الحذف ، و الوقفة الوصفية ، و بينهما وسيطان هما المشهد ، و المجل ^(١١) .

أما الحذف (Ellipse) : فهو أقصى سرعة يمكن أن يسير بها السرد ، و تتمثل في تخطيه لأحداث بأكملها دون الإشارة إليها ، وكأنها ليست جزءا من المتن الحكائي ؛ كإلغاء

(٩) هناك اختلاف في ترجمة المصطلح ، يضعنا وجها لوجه أمام مشكلة نقل المصطلح الغربى إلى لغتنا العربية ، وما ينتج عن ذلك من اختلاف ربما يكون طبيعيا مع البدايات ، ولكن بعد مرور كل هذه السنوات (البداية كانت فى أوائل هذا القرن مع الشكليين الروس) فإن هناك تقصيرا ما ، ربما لايسمح به ما نرى من اختلاف أصحاب المنهج المؤسسين فيما بينهم فى وضع المصطلح أساسا تبعا لمفاهيم خاصة كما فعل Genette مفارقا للنيويين فى استعماله لـ Analépse بدلا من Retrospection تفاديا للدلالة النفسية التى يحملها المصطلح الأخير ، وللسبب ذاته يفضل استعمال Prolepse عن Anticipation . وكذلك يطلق على الوقفة اسم Pause ويطلق عليها Todorov L'analyse . و المشهد يسميه Genette بـ Scene بينما يسميه Todorov بـ Le style direct . وكذلك المجل أو الموجز ، يسميه Genette بـ Sommaire ، و Todorov بـ Résumé إلخ

(١٠) Gérard Genette, Figures III, P. 122

(١١) Ibid. P. 129

التفاصيل الجزئية أو الأحداث قليلة الأهمية فى سياق ما إن مدة السرد هنا تساوى صفرا ، بينما مدة الحكاية تشغل حيزا فى التاريخ طال أم قصر . وينقسم الحذف إلى أنواع ثلاثة :

١ - حذف صريح (Explicite) وينتج إما عن إشارة (محددة أو غير محددة) إلى المدة الزمنية المحذوفة ، وفى هذه الحالة فإن هذه الإشارة هى التى تشكل الحذف بما هو مقطع نصى ، والذى لايساوى عندئذ الصفر تماما ؛ وإما عن حذف مطلق (درجة الصفر فى النص الحذفى) مع إشارة إلى الزمن المنقضى عند استئناف الحكاية ، وهذا الشكل الأخير - يقول Genette - حذفى بصرامة أكبر ، وهو ليس أكثر إيجازا بالضرورة ؛ لكن النص يومئ فى هذا الشكل إلى الإحساس بالفراغ السردى أو الثغرة إيماءة أكثر تماثلية Analogique .

٢ - حذف ضمنى (Implicite) ولا يصرّح فى النص بوجوده ، وإنما يُستدل عليه من ثغرة فى التسلسل الزمنى ، أو انحلال للاستمرارية السردية .

٣ - حذف افتراضى (خالص الافتراضية) (Hypothétique) وهو أكثر أشكال الحذف ضمنية ، وتستحيل موقعته ، بل أحيانا يستحيل وضعه فى أى موضع كان ، وإنما ينم عنه استرجاع ما بعد فوات الأوان .

والوقفه الوصفية (Pause) : وهى ، على عكس الحذف ، السرعة الدنيا التى يمكن أن يسير بها السرد ، وهى عبارة عن توقفات وصفية تقطع المسار الزمنى للسرد ، مما يعطى إحساسا بتوقف الزمن بينما يستمر السرد فى تقديم الكثير من التفاصيل الجزئية ، حول موضوع ما .

المشهد (Scène) : وفيه يترك السارد الأحداث تتوالى بنفسها دون تدخل منه ، فنتركز الأحداث من ثم وتعرض بكل تفاصيلها ، وفيه يتطابق زمن القصة وزمن الحكاية .

المجلد (Sommaire) : هو اختصار أحداث جرت في عدة أيام ، أو شهور ، أو سنوات في بضع فقرات أو بضع صفحات ، دون تفاصيل أعمال أو أقوال (١٢) ، وهو ربما يشغل مكانة محدودة في مجموع المتن السردى . ويمثل وسيلة الانتقال الأكثر شيوعا بين مشهد وآخر ، أو الخلفية التي عليها يتميزان .

وأما عن التواتر السردى (LA fréquence) أو علاقات التكرار بين القصة والسرد ، فإن ذلك لم يدرس إلا قليلا قبل Genette (١٣) ، الذى يراه مظهرا من المظاهر الأساسية للزمنية السردية ، إذ إن الحدث ليس بقادر على الوقوع فحسب ، بل يمكنه كذلك أن يقع مرة أخرى ، أو أن يتكرر عدة مرات ، وفى المقابل فإن الملفوظ السردى هو الآخر يمكنه أن يقع مرة أخرى ، أو أن يتكرر عدة مرات ؛ وبين قدرة الحدث ، وقدرة الملفوظ السردى على التكرار يقوم نسق من العلاقات ؛ فيمكن لحدث وقع مرة واحدة أن يُروى مرة واحدة ، ويطلق على هذا النمط اسم الحكاية التفردية *récit singulatif* وهى تخرج بذلك عن حد التواتر ؛ إذ ليس هناك تكرار لا على مستوى الحدث ، ولا على مستوى السرد . وأما النمط الثانى ففيه يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية ، ويرده إلى النمط الأول لتوافق تكرارات الحكاية مع تكرارات السرد ؛ فهو يرى أن التفردى لا يتحدد بعدد مرات وقوعه من الجانبين ، بل بتساوى هذا العدد . والنمط الثالث : أن يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرة واحدة ، وهذا النمط يسمى الحكاية التكرارية *récit répétitif* وأما النمط الرابع ففيه يُروى مرة واحدة ما وقع مرات لا نهائية ، ويسميه

(١٢) Gérard Genette, Ibid, P. 130

(١٣) انظر : شلوميت كنعان ، التخيل القصصى ، ص ٨٨ ، وعلوط محمد : التواتر السردى فى الخطاب الروائى ، مجلة الكرمل ، العدد ٢٨ ، ١٩٨٨ ، ص: ٩١

récit itératif^(١٤) هذا ونلفت إلى أن Genette يرى أن التكرار بناء ذهني يتحقق باستبعاد خصوصية كل حدث ، مع الاحتفاظ بالمشارك بين الأحداث المتشابهة ويكون ذلك بتجريد الأحداث من سياقاتها ، ومن دلالات مواقعها الخاصة التي تكسبها دائما معنى جديدا يخرجها من دائرة التكرار.

ولنبدا الآن بوصف البنية الزمنية للقصة القرآنية ، لنرى كيف تتشكل العلاقة بين زمن الحكاية ، وزمن الخطاب :

- قصص آدم عليه السلام :

أ - في سورة (ص) :

تبدأ القصة بمشهد استباقي إعلاني لما سيكون من خلق آدم من طين ، ومن ثم طلب الله إلى الملائكة أن يسجدوا له ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ يلي ذلك حذف زمني لمدة إنجاز الخلق ، هذا الحذف يؤدي دورا هاما في إضاءة جانب من جوانب صفات الملائكة : الطاعة والتسليم دون إبطاء ، حيث يلي إيجاز لأحداث سجود الملائكة واستكبار إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ ثم تختتم القصة بمشهد حوارى طويل بين الله وإبليس ؛ إبليس يطلب الإنظار إلى يوم البعث والله تعالى يجيبه إلى طلبه ، ويتوعدده ومن تبعه أجمعين . وفي القصة يتجلى التواتر السردى فى قول إبليس : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) ﴾

(١٤) Gérard Genette, Figures III, P.145

مستعملا الفعل المضارع للدلالة على تجدد الإغواء واستمراره إلى يوم البعث . فالقصة ماضية مستعادة ، والإغواء متجدد مستمر ؛ تبدأ القصة بالفعل الماضى ثم لا تنتهى بل تتفتح على المستقبل إلى يوم البعث . فحاضر إنجاز السرد بعيد جدا عن واقع القصة التاريخى ، لكنهما يتزامنان فى المشهد حيث يصبح زمن السرد هو نفسه زمن القصة ، ونصبح وكأننا حضور نشاهد ذلك المشهد الذى يدور أمام أعيننا ، ونستمع إلى الحوار الذى يحمله ، وبدهى أن ناقل الحوار لابد وأن يكون قد استمع إليه من قبل ؛ فكيف لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يأتى به لولا الوحي ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ ٧٠ ﴾ .

ومن ثم يتشكل السرد على النحو التالى : مشهد - حذف - إيجاز - مشهد ؛ فالمشهد على هذا يؤطر السرد القصصى ههنا ويهيمن عليه .

ب - فى سورة (الأعراف) :

تبدأ القصة ، مع لحظة إنجاز سردى متأخرة كثيرا جدا عن زمن وقوع الأحداث ، يخاطب الله تعالى البشرية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١١) ثلاث لقطات سريعة : الخلق ، والتصوير ، وسجود الملائكة وامتناع إبليس - يلى ذلك مشهد حوارى طويل بين الله وإبليس ، يتجلى فيه سمة من سمات التواتر ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١٦) ثُمَّ لَا تَبْلُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (١٧) فثم فعل يتكرر كثيرا هو إغواء إبليس لآدم وذريته ، وإبليس لا يدخر وسعا فى سبيل ذلك ؛ ويعبر السرد عن ذلك بتكرار الإغواء فى كل مرة بشكل مختلف ، ينتهى بوقوع الإنسان فى دائرته التى تحيط به من كل

جانب : من الأمام ، ومن الخلف ، وعن اليمين ، وعن الشمال . وينتهي المشهد بإخراج إبليس مذؤما مدحورا متوعدا ومن تبعه . ومن ثم يلتفت السياق إلى آدم يخاطبه ربه ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ التفات مباشر من خطاب إبليس وما فيه من عقاب إلى خطاب آدم ، وتحذيره أن يقرب هذه الشجرة . وبعد حذف دال على ما كان من سكنى آدم وزوجه الجنة ، يأتي مشهد فيه ما كان من إغواء الشيطان لهما ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَ لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) ﴾ وحدث الوسوسة وهنا يعد مشهديا هو الآخر ، فبالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر تمثيلا للمشهد ، تقول شلوميت كنعان : فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا (١٥) فالمفارقة الزمنية التي بدأ بها السرد يتقلص مداها البعيد مع المشهد الحوارى بين الله وإبليس ، حيث يتزامن كل من المبنى الحكائى والمتن الحكائى حتى نهاية الحكاية ، التي تفتح على زمن آخر لاحق لزمن جريانها ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (٢٦) ﴾ فالمشهد مستمر بخطاب الله تعالى إلى بنى آدم ، الذى يبين فيه أن ثم لباسا معنويا ، غير اللباس المادى ، هو ذلك الذى نزرع عن آدم وزوجه ، وهو الذى يحذرنا الله تعالى أن نقع فيه مرة أخرى . إنه لباس التقوى ، أى دوام الخوف من الله .

ج - في سورة (طه) :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى (داخلى) ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ بعد ذلك تبدأ الحكاية بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، وتحذير آدم من عداوته ،

(١٥) شلوميت كنعان ، التخييل القصصى ، ص ٨٥

لكنه ينسى التحذير ويستمتع لوسوسة الشيطان ويعصى ربه فيغوى ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(١٢٢) ﴾ هكذا فى إيجاز سريع ، لنعود إلى المشهد مع الهبوط إلى الأرض ، الذى يحمل معنى التجدد والتكرار ؛ تجدد العداوة ، وتكرار الرسالات ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤) ﴾ ويتحول إذ ذاك الزمن إلى المشهد الاستباقى (الخارجى) حيث ننقل إلى الآخرة ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا(١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(١٢٦) ﴾ وهنا أيضا يبدأ السرد بمفارقة واسعة المدى ، ما تلبث أن يتلاشى مداها مع المشهد الحوارى الذى يسيطر على السرد ، فيلغى المسافة الفاصلة بين زمنى السرد والحكاية . ويصبح من ثم زمن الحكاية هو زمن السرد .

د - فى سورة الإسراء :

هنا تتكون القصة كلها من مشهد استعاضى ، نرى فيه تكريم الله لآدم ، حيث أمر الملائكة بالسجود له ، ونرى فيه حسد الشيطان لآدم وعصيانه لأمر الله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(٦١) ﴾ ثم حوار طويل بين الله وإبليس ؛ يتجلى فيه التواتر السردى الذى يأتى دائما مع تواعد إبليس لبنى آدم ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِّي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَآحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا(٦٢) ﴾ فما يزال إبليس يستميل ذرية آدم ، ويجتهد فى إغوائهم وإضلالهم إلى يوم القيامة . وكذلك فى قوله تعالى ﴿ قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ نَبِعَاكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا(٦٣) وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا(٦٤) ﴾ نجد حدث الإغواء يتكرر فى صور مختلفة فى كل مرة ، ولكن تكراره هنا يتم من وجهة نظر

مختلفة ؛ فهو فى النهاية ، وبعد كل ما أخبره به الله ، أعجز عن أن يستطيع شيئا ، فلا سلطان له على أحد ، بله أن يكونوا عباد الله .

هـ - فى سورة الحجر :

ههنا تبدأ القصة باستباق إعلانى ، يكشف عن طبيعة المادة المكونة لكل من الإنسان والجان ، هذه الطبيعة التى سيكون لها دور مهم فى توجيه الأحداث فيما بعد ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَ خَلْقَانَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ . يلى ذلك مشهد حوارى بين الله تعالى والملائكة ، نرى فيه أثر تلك الطبيعة ، وكيف أن السبب الرئيسى الذى تعلق به إبليس لرفضه السجود لآدم ، هو أن آدم مخلوق طينى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) ﴾ ومن ثم يلى مشهد حوارى طويل بين الله وإبليس ، نجد فيه التواتر السردى الذى يتجلى دائما فى هذا الحوار ؛ يقول تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) ﴾ فاللعنة متجددة على إبليس إلى يوم الدين ، وفى المقابل يرد إبليس : ﴿ رَبِّ يَمَا أَغْوَيْتَنِى لِأَرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ . فتزيينه المعاصى ، وإغواؤه لبنى آدم مستمر متجدد أيضا إلى يوم البعث . فلحظة إنجاز السرد تفصلها مسافة كبيرة عن زمن وقوع القصة ، لكن المشهد الحوارى الذى يسيطر على المبنى الحكائى ، يمنحنا إحساس المشاركة برؤية الأحداث كما وقعت ، كلمة كلمة مستغرقا الزمن نفسه الذى يحتاجه الحوار .

و - فى سورة البقرة :

تبدأ القصة بمشهد ، يُذكر فيه صاحب الوحي جل وعز نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بقصة استخلاف آدم ، عليه السلام ، فى الأرض التى جعلها الله للناس جميعا ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) ۞ وللمرة الأولى ، فى قصص آدم عليه السلام ، نسمع صوت الملائكة فى حوار مع الله ؛ دائما كان إبليس هو صاحب الحوار ، لكن لا صوت له هنا ، فقط صوت الملائكة ، فى تساؤل حىيٌ ، لا فى مراجعة وقحة كما كان من إبليس ؛ استفسار عن الحكمة من أن يجعل الله فى الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ويقرنون تساؤلهم بأنهم يسبحون بحمده ويقدمون له ، بما يوحى بخوفهم من أن يكون قد وقع منهم تقصير أوجب جعل هذا الخليفة .

ويلى ذلك إيجاز ، يومئ إلى استعداد آدم للعلم ، وربما كان ذلك هو سر استخلافه (١٦) ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ۞ (٣١) ثم يعود المشهد الذى يسيطر على القصص ، يتخلله إيجاز من حين لآخر ، لأحداث ينبغى معرفتها إجمالاً ۞ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۞ (٣٦) ۞ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ۞ نرى من خلاله كرامة آدم على الله تعالى ، وما كان من خطيئة ، وتوبة ، وهبوط إلى الأرض مشمول برعاية الخالق سبحانه .

— قصص نوح عليه السلام :

أ - فى سورة القمر :

(١٦) انظر : سعيد حوى ، الأساس فى التفسير ، دار السلام ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩ ، ١ / ١٢١

تعرض القصة فى أربع صور متتالية شديدة الإيجاز ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْثُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ ﴿ قَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ(١٠) ﴾ ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢) ﴾ ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ(١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ(١٤) ﴾ فى هذه الصور نجد خلاصة الأحداث ، لا نجد تاريخ الدعوة الطويل ، وما صاحبه من أحداث ، بل نجد تكذيب الدعوة ، والاستتصار ، ومن ثم الإهلاك والنجاة ؛ إن الدعوة لفى بداياتها ، وكفار مكة يسارعون بالتكذيب ، وقبلهم كذب قوم نوح .

ب - فى سورة الأعراف :

تبدأ القصة بمشهد استعاضى ، بالنسبة لحاضر السرد ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٥٩) ﴾ وما بعدها ، فيه ما كان من إرسال نوح ودعوته وتكذيب قومه ، وتنتهى بإيجاز يجمع أحداثا كثيرة مفصلة فى غير هذا الموضع ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤) ﴾ وليس السياق فى حاجة إلى تفصيل ، فهكذا كان موقف قوم نوح من دعوة نبيهم لهم ، وهكذا فعل الله بهم ، والله لا يهلك قوما إلا بعد أن يرسل إليهم من يدعوهم ، ويبين لهم طريق الهدى .

ج - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى ، يعلن عن قصدية القصة ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥) ﴾ ثم يأتى تفصيل ذلك التكذيب فى مشهد حوارى بين نوح وقومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا(١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَأَتَوْهَا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١١٠) قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْثُلُونَ (١١١) وتنتهى بإيجاز ، يجمال عاقبة هؤلاء القوم المكذبين ، مقرونا بجزاء الفريق المؤمن ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) ﴾ وما زال المشهد الحوارى هو النمط المهيمن فى القصص .

د - فى سورة يونس :

فى مشهد تعرض القصة ما كان من تحدى نوح لقومه ، ثم تأتى الخاتمة فى إيجاز ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٣) ﴾ .

هـ - فى سورة هود :

تبدأ القصة بمشهد استعاضى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) ﴾ ويستمر حوار طويل بين نوح وقومه ، يقطعه مشهد خارجى عن القصة ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) ﴾ لنعود مع مشهد استباقى ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ (٣٧) ﴾ ﴿ وَيَصْنَعِ الْفُلَ وَكَلَّمَا مَرَّةً عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ فى تواتر و تكرار ، فالسخرية تتكرر لأن المرور يتكرر . ثم يعود المشهد الحوارى المهيمن دائما ﴿ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) ﴾ ثم يلى ذلك حذف غير خالص ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ أى أن الأمر ظل على هذا النحو من سخرية قومه ، وصبره على أمر الله بصناعة الفلك ، حتى جاء أمر الله وفار التنور . ومن ثم يعود المشهد الحوارى ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ﴿ وَيَسْتَمِرُّ الْمَشْهَدُ يَتَخَلَّلُهُ إِيجَازٌ يُجْمَلُ
أَحْدَاثُ مَا بَعْدَ الطُّوفَانِ ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَأَسْنَوْتُ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٤) ﴿ وَتَخْتَمُ الْقِصَّةُ بِحِوَارٍ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ
سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٤٨) ﴿ .

و - فى سورة نوح :

تتكون القصة من مشهد طويل ، يبدأ باستباق إعلانى يكشف عن وظيفة نوح فى السرد ، وهى
الإنذار ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي
لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(٢) ﴿ يَتَخَلَّلُهُ إِيجَازٌ ﴿ مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَنْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا(٢٥) ﴿ وَتَنْتَهَى بِالْمَشْهَدِ ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا(٢٨) ﴿ .

ز - فى سورة المؤمنون :

تتكون القصة كلها من مشهد حوارى بين نوح وقومه من جهة ، وبين نوح وربّه من جهة
أخرى .

ح - فى سورة العنكبوت :

ههنا للمرة الأولى تتحدد مدة المحذوف ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا
خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(١٤) ﴿ وههنا نرى كيف أن الحذف حذف بلاغى

دال ؛ فإن قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ يدل بوضوح على ما كان منهم فى هذه المدة الطويلة من ظلم أوجب أخذهم بالطوفان ؛ إنه ليس حذفاً بقدر ما هو إيجاز .

ـ قصص هود عليه السلام :

أ - فى سورة القمر :

تبدأ القصة من النهاية و بعد تكذيب عاد ، باستباق يعلن عن وجهة السرد ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(١٨) ﴾ ومن ثم توجز كيف كان عذاب الله الواقع بهم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ(١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ(٢٠) ﴾ فالمسافة الفاصلة بين اللحظة الحاضرة للسرد ووقت وقوع الأحداث مسافة كبيرة ، فالسرد كله استرجاع لقصة نموذج من المكذبين والعقاب الذى حاق بهم فى الدنيا .

ب - فى سورة الأعراف :

تأتى القصة فى مشهد حوارى بين هود الرسول وقومه ، منذ إرساله وتكذيب قومه له (٦٥ - ٧١) إلى أن تختتم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ(٧٢) ﴾ .

ج - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق (إعلاني) ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣) ﴾ ثم تعود إلى تفصيل هذا التكذيب فى مشهد حوارى بين هود و قومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٢٤) إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ(١٢٥)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا(١٢٦) ﴿ إلى أن تختتم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٣٩) ﴿ .

د - فى سورة هود :

تأتى القصة فى مشهد حوارى بين هود وقومه منذ أن بدأ دعوته لهم ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿ مبصرا إياهم بطرق الفوز والنجاة ، وهم يكذبون ، ويكذبون (٥٠ - ٥٧) إلى أن تأتى الخاتمة موجزة ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ(٥٨) ﴿ ثم يأتى تذييل للقصة فى استرجاع يتضمن استباق العليم ﴿ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(٥٩)وَأَثْبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ(٦٠) ﴿ .

هـ - فى سورة الأحقاف :

تبدأ القصة باسترجاع ، يذكر بما كان ﴿ وَادْكُرْ ءَادًا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّجُومُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٢١) ﴿ إلى ذلك مشهد حوارى بين هود وقومه : هو يدعوهم إلى الله وهم يكذبون ، ويستعجلون ما يعدهم به من العذاب لجهلهم ؛ فتأتى النهاية فى إيجاز مختلط بحوار ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٤)تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِيْنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ(٢٥) ﴿ لكن من صاحب الخطاب هنا ؟ قد يكون هودا هو الذى يرد عليهم ، وقد يكون صوتا آخر ، وهو الأقرب ، لقوله تعالى فى ختام القصة ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿ .

- قصص صالح عليه السلام :

أ - في سورة القمر :

تبدأ القصة منذ التذويب باستباق ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) ﴾ ثم يلي مشهد (حوارى) نرى فيه كيف كان تكذيبهم ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِيَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَوْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ (٢٥) ﴾ ونسمع ذلك الصوت البعيد - العالى - العليم يرد عليهم ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ (٢٦) إِيَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِئْتَةٌ لَهُمْ قَارِعَةٌ يَتَّبِعُهُمُ الْغَايَةُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَذَبُوا وَعَصَوْا وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِ (٢٧) وَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْوَسْءُ الَّذِي كَانُوا يُكْسِرُونَ (٢٨) ﴾ ثم قطع (حذف) ثلثه النهاية فى إيجاز ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِيَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيَّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَاشِيمٍ الْمُخْتَطِرِ (٣١) ﴾ .

ب - في سورة الأعراف :

تبدأ القصة مع دعوة صالح لقومه بمشهد حوارى ﴿وَالِى تُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (٧٣) ونحن هنا مع حذف كذلك ، فصالح أرسل إلى قومه ، وكان بينهما ما كان مما يفصل فى أماكن أخرى ، ثم كانت الناقة آية لهم ، لكن الناقة تأتى هنا منذ البداية ، ثم فى استرجاع يذكرهم بفضل الله عليهم ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْحِجَالَ بُيُوتًا فَأَدْكُرُوا عَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤) ويستمر الحوار لكن هذه المرة بين المكذبين من قومه والمؤمنين ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) ﴿ ثم حذف يُعلم من سياقات أخرى فيإجاز النهاية ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴿ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِیُونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴿ هل هي استرجاع ؟ إذ بعد هلاكهم يعود السياق إلى ما كان من صالح تجاه قومه في نهاية دعوته لهم ، وبعد إياسه منهم . أم هي خاتمة طبيعية ، تأتي في ترتيبها التسلسلي حين تولى صالح عن قومه بعد هلاكهم متحسرا عليهم ؟ الأقرب أنها الأولى ، فهو خاطب قومه نافضا يديه منهم ؛ فقد بذل قصارى ما يستطيع من جهد في سبيل هدايتهم ، ولكنهم قوم مفسدون ، لا يحبون الناصحين ؛ ثم تولى عنهم . والجملة الثانية معطوفة على الأولى بالواو التي تسمح بالسبق والتأخر على السواء .

ج - في سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق يوحى بطبيعة القصة ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) ﴿ ثم يلي مشهد حوارى بين صالح وقومه : دعوة وتكذيب (١٤٢ - ١٥٦) إلى أن تأتي الخاتمة في إيجاز بعد قطع معلوم من سياق آخر ، إذ حذرهم صالح أن يمسوا الناقة بسوء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) ﴿ .

د - في سورة النمل :

تبدأ القصة بإيجاز يجل الحكاية ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) ﴿ وتستمر في مشهد حوارى بين صالح وقومه ، إلى أن يتوقف الزمن مع وصف تسعة الرهط في المدينة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

يُصْلِحُونَ(٤٨) ﴿ ومن ثم يكتمل الحوار بين قومه بعضهم البعض في المكر له ، لتأتي الخاتمة موجزة مختلطة بوصف ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَتًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(٥٠)فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ(٥١)فَإِنَّكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٥٢)وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٣) ﴾ .

هـ - في سورة هود :

يهيمن على القصة مشهد حوارى بين صالح وقومه (٦١ - ٦٥) وتختتم بإيجاز ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِيذُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ(٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٦٧)كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا إِنَّا تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِّتَمُودَ(٦٨) ﴾ .

- قصص لوط عليه السلام :

أ - في سورة القمر :

تبدأ القصة بإيجاز ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ(٣٣) ﴾ ثم قطع فالخاتمة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِيًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤)نِعْمَةٌ مِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥) ﴾ وبعد ذلك يعود السياق في استرجاع خارجى [بالنسبة لبداية القصة (التكذيب) ونهايتها (الإهلاك والنجاة) وهنا] إلى ما قبل التكذيب ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذُرِّ(٣٦)وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّ(٣٧) ﴾ ثم نعود في استرجاع داخلى (داخل القصة المذكورة هنا) ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨) ﴾ .

ب - فى سورة الأعراف :

تبدأ القصة مع دعوة لوط فى مشهد حوارى بينه وبين قومه ، هو مهموم بدعوتهم : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْقَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (٨١) وهم يكذبون ، ويأتى تكذيبهم فى إيجاز دال على فساد طبيعتهم ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴾ (٨٢) () ونستمر مع الإيجاز فى عرض النهاية ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (٨٣) (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَانِظًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) ﴾ (٨٤) .

ج - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق إعلانى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٦٠) ﴿ ثُمَّ يَأْخُذُ السِّيَاقَ مَسَارَهُ الطَّبِيعَى مَعَ دَعْوَةِ لُوطٍ لَهُمْ ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ ، فى مشهد حوارى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (١٦٦) قَالُوا لَنْ لَمْ نَنْتَهِ يَالُوطُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ (١٦٨) ﴿ ومن ثم تأتى الخاتمة فى إيجاز حين دعا ربه ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٩) فَانْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُتَدْرِينِ ﴾ (١٧٣) ﴿ والآية الأخيرة تمثل استرجاعا داخليا ؛ فالدمير نتيجة يحدثها المطر .

د - فى سورة هود :

تبدأ القصة مع مجيء الرسل إلى لوط ، فى إيجاز يجمال الموقف النفسى لرسول الله ﷺ ولَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) ﷻ ثم تنتقل إلى مشهد حوارى بين لوط وقومه ، هم يريدون ضيفه وهو يحاول منعهم (٧٨ - ٨٠) يكتمل بحوار آخر بين لوط والملائكة ، حيث يكشفون له عن حقيقتهم ويطلبون منه الرحيل (٨١) ومن ثم تأتى الخاتمة فى إيجاز سريع ﷻ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﷻ .

هـ - فى سورة الحجر :

تبدأ الإشارة إلى قصة لوط باسترجاع خارجى لجانب من قصة إبراهيم عليه السلام حين ﷻ قَالَ قَمَا خَطَبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا عَالُ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَايِرِينَ (٦٠) ﷻ وبعد ذلك يأخذ السياق فى عرض قصة لوط عليه السلام ، فتبدأ بمشهد حوارى بين لوط والملائكة يكشفون فيه حقيقة أنفسهم ويطلبون منه الرحيل (٦١ - ٦٥) ثم يُجمال الأمر فى استباق (العليم) ﷻ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْنَعِينَ (٦٦) ﷻ يلى ذلك ، على عكس القصة السابقة ، مشهد حوارى بين لوط وقومه يريدون ضيفه ويحاول منعهم (٦٧ - ٧١) وهنا يطرح سؤال نفسه : هل هذا المشهد الأخير يأتى متأخرا عن سابقه (استرجاعا) ؟ أم أن هذا هو الترتيب الطبيعى للقصة ؟ مما يجعلنا نتساءل كذلك : إذا كان لوط يعرف بالفعل حقيقة الملائكة فلماذا يكبد نفسه مشقة الدفاع عنهم ؟ ثم فى إيجاز تأتى الخاتمة ﷻ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) ﷻ .

و - فى سورة العنكبوت :

تبدأ القصة مع دعوة لوط لقومه في مشهد حوارى ينكر عليهم ما يفعلون ، وهم يستهزئون به ويطلبون العذاب ، فيستتصر بربه (٢٨ - ٣٠) ثم نعود في استرجاع خارجى إلى قصة إبراهيم عليه السلام فى حوار ه مع الملائكة ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) ﴾ ثم يأتى مجيء الملائكة وضيق لوط بهم فى حوار موجز ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَآ كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) ﴾ ومن ثم لا تأتى الخاتمة المعتادة التى تصف حدث الإهلاك والنجاة ، وإنما تأتى إشارة إلى ذلك وفى الوقت نفسه إلى العبرة من القصة ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) ﴾ .

– قصص شعيب عليه السلام :

أ - فى سورة الأعراف :

تبدأ القصة ، كقصص سورة الأعراف ، بمشهد دعوة شعيب قومه إلى عبادة الله وحده ، وهم يكذبون ويستكبرون ، وشعيب يستتصر بربه (٨٥ - ٩٠) فينصره ، بإهلاكهم فى إيجاز ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ (٩١) ﴾ ثم فاصل يجمل العبرة من القصة : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) ﴾ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾ هل هى استرجاع يعود إلى ما قبل نهاية القصة ، حيث أيس من تحولهم عن

كفرهم ، فقال ما قال ؟ أم أنها تقع فى ترتيبها الزمنى الطبيعى ؟ وهو الأقرب هنا ، فهو يتولى عنهم بعد هلاكهم مسترجعا ما كان بينه وبينهم ، إذ أبلغهم رسالات ربه ، ونصح لهم ، لكنهم كفروا ، وكذبوا ، فلم يستحقوا أن يأسى عليهم بعد أن أهلكوا جزاء كفرهم .

ب - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) ﴾ ثم يأتى تفصيل هذا التكذيب فى مشهد حوارى بين شعيب وبينهم ، هو يدعوهم ، وهم يكذبون ويطلبون العذاب (١٧٧ - ١٨٨) ومن ثم تاتى الخاتمة سريعة فى إيجاز شديد ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) ﴾ .

ج - فى سورة هود :

تبدأ القصة مع دعوة شعيب لقومه بمشهد حوارى ، يستغرق القصة بطولها (٨٤ - ٩٣) ومن ثم تاتى الخاتمة موجزة فى قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾ .

- قصص موسى عليه السلام :

أ - فى سورة الأعراف :

تبدأ الحكاية باستباق تمهيدى ، داخلى ، يجمال القصة ويحدد اتجاه السرد ، وأنه سيكون مكرسا لعرض ما كان من ظلم فرعون وملاؤه حيث كفروا بآيات الله ، وما كان من عقاب الله لهم جزاء

هذا الكفر ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(١٠٣) ﴾ ومن ثم تبدأ الحكاية مع ذهاب موسى إلى فرعون رسولا من رب العالمين ، ليبدأ المشهد الحوارى بينهما ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ إِسْرَائِيلَ(١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ حِثَّ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٠٦) ﴾ يقطع الحوار سرد موجز لما جاءهم به موسى من معجزات ﴿ فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ(١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ(١٠٨) ﴾ ليعود المشهد الحوارى من جديد بين فرعون وملايه الذين أشاروا عليه بمحاربة موسى بالسحرة المهرة (١٠٩ - ١١٢) وبعد حذف يكتمل الحوار بصوت السحرة ، مع فرعون (١١٣ - ١١٤) يسألونه عن أجرهم إذا غلبوا ، ثم مع موسى (١١٥ - ١١٦) ليحددوا البادئ بعرض سحره . ثم تأتى أحداث اللقاء بين موسى والسحرة موجزة ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ(١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١١٨) فَغَلِبُوا هَٰذَاكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ(١١٩) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ(١٢٠) ﴾ ثم يعود المشهد الحوارى بين فرعون والسحرة (١٢٣ - ١٢٦) يكشف عن إيمان عميق تتطوى عليه قلوبهم ؛ لرؤيتهم شيئا غير السحر فيما اتاهم به موسى ؛ فسحرهم باطل ، وهم يعلمون ذلك ، وموسى جاءهم بحق لم يألوه من قبل فى صناعتهم هذه ، فهى إذن معجزة ، وليست ضربا من ضروب السحر التى يعرفونها . ومن ثم يتجدد الحوار بين فرعون وملايه ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ(١٢٧) ﴾ وبين موسى وقومه ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(١٢٩) ﴾

﴿ وبعد هذا تكتمل الأحداث بإيجاز نعرف من خلاله ما وقع بآل فرعون من عقاب ﴾ ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يدركون ﴾ (١٣٠) فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن نصيبهم سيئة يطيرروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ (١٣١) وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ (١٣٢) فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ (١٣٣) ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك يما عهد عندك لنا كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بني إسرائيل ﴾ (١٣٤) فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالعودة إذا هم يتكثرون ﴾ (١٣٥) فالتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ (١٣٦) وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل يما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ (١٣٧) ﴿ يتخلل هذا الموجز ، الذى يجمل أحداث نهاية فرعون وملاه ، مشهد قصير يعود إلى الظهور مرة بعد مرة ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ ﴿ وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ (١٣٢) ﴿ قالوا ياموسى ادع لنا ربك يما عهد عندك لنا كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بني إسرائيل ﴾ (١٣٤) ﴿ وفيه كذلك نجد التواتر الذى يحمله تكرار إرسال العقاب على آل فرعون فى صور مختلفات : ﴿ الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴾ ﴿ لعلهم يعودون عما هم فيه من ضلال ، وتسير الأحداث بعد ذلك يغلب عليها المشهد الحوارى بين موسى وقومه (١٣٨ - ١٤١) وبينه وبين ربه (١٤٣ - ١٤٧) إلى أن تأتى نهاية الحكاية فى إيجاز يتخلله بعض المشاهد الحوارية السريعة ، لدى عودة موسى ولقائه بأخيه هارون ﴿ قال يئسما خلقتموني من بغي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تسمت بى الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ (١٥٠) قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ (١٥١) ﴿ أو عند دعاء موسى حيث ذهب مع السبعين رجلا من قومه لميقات ربه ﴿ قال رب لو شئت أهلكهم من قبل وإياي أهلكنا يما فعل

السُّقَاهُ مِمَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنُوهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ۞ .

ب - فى سورة طه :

تبدأ الأحداث بمشهد حوارى طويل بين موسى وربه ؛ يختاره الله رسولا إلى فرعون ، بعد أن يريه من آياته الكبرى (٩ - ٣٦) ويكمل الحوار فى شكل استرجاع خارجى يذكره فيه ربه بما من عليه به من قبل ۞ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ۞ (٤١) ثم يستعيد الحوار زمنه الأسمى ، لبدء التكليف بالرسالة ۞ اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي زِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) ۞ (٤٨) ويستمر الحوار مع تغير الشخصيات ، بعد قطع زمنى غير محدد ، يتحول معه الحوار من التكليف إلى الدعوة ۞ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى (٤٩) ۞ (٧٦) ويتخلل هذا الحوار الطويل ، الذى يهيمن على الحكى ، سرد موجز ، يجمع أحداثا كثيرة ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا عَائِيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) ۞ فَقُولَى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) ۞ وكذلك قطع زمنى يتخطى أحداثا لا يحتاج السرد إليها : ۞ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى (٤٩) ۞ ۞ قَالَ بَلْ أَقْتُوا قَدْ جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) ۞ ۞ وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى(٧٠) ﴿ ويستمر الحوار حتى نهاية الحكى ، مع تغير الشخصيات المتحاوره : موسى وربه - موسى وقومه - هارون وقومه - موسى وهارون - موسى والسامري . ومن المفارقات الزمنية كذلك نجد الاسترجاع الداخلى الذى يذكر فيه الله بنى إسرائيل بأعظم نعمه عليهم ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُم جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى(٨٠) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى(٨١) ﴿ والاستباق الداخلى الذى يُعلم الله فيه موسى بما فعل السامري من إضلال قومه ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ(٨٥) ﴿

ج - فى سورة الشعراء :

نبدأ الحكى مع تكليف موسى بمشهد حوارى بينه وبين ربه ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ(١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون(١٢) ﴿ (١٧) ويستمر المشهد الحوارى مع تغير الشخصيات ، حين يذهب موسى وهارون إلى فرعون يبلغاه رسالة ربه ﴿ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٧) (قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلِئِثْتَ فِينَا مِنْ عُمَرَاكُ سِنِينَ(١٨) ﴿ (٣٣) ونلاحظ القطع الزمنى بين الإرسال والدعوة ، يُحذف فيه مضمون الرسالة التى جاء بها موسى وهارون ؛ لأننا نعلمها من قبل . ويمتد المشهد الحوارى بين فرعون وملايه ، ثم بينه وبين السحرة يمتيهم الأمانى إذا هم غلبوا موسى ؛ فيُغلبون ؛ ويستمر الحوار بينهم وبين فرعون يتوعدهم بالعذاب لإيمانهم برب موسى وهارون ، وهم يطمعون فى مغفرة الله ربهم أن كانوا أول المؤمنين (٤١ - ٥١) ثم يأتى الإعلان الذى خرج به فرعون على الناس ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاظِرُونَ(٥٦) ﴿ الذى يحمل طابعا مشهديا هو الآخر ، ليكمل هيمنة المشهد

على الحكى - ويأتى فى الوقت ذاته إعلانا لنهاية فرعون ، فقد بلغ به الكبر كل مبلغ ، فتأتى النهاية مجملة موجزة ، على هيئة استباق داخلى يؤكد هوانه وضعفه وقلة حيلته ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ (٥٩) ﴾ ويكتمل الحكى بعد ذلك فى إيجاز يتخلله مشهذان أحدهما حوار قصير ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ والآخر وحيد الصوت ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ .

د - فى سورة القصص :

تبدأ الحكاية ههنا باستباق تمهيدى ، نتعرف فيه ما سيكون من شأن الحكى بعد ذلك ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ فهى قصة موسى ، وفرعون الذى علا واستكبر ، واستضعف أمة يريد الله أن يمن عليها ، ويمكن لها فى الأرض .

ومن ثم يبدأ الحكى مع الطفولة الباكرة لموسى ، ومع حيرة أمه ، فى مشهد حوارى ، يتضمن استباقا داخليا يطمئنها فيه الوحي على ابنها وعلى مستقبله ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ يليه إيجاز مدة الطفولة وما كان فيها ، بعد إلقاء موسى فى اليم بأمر الله ، من النقاط آل فرعون له ، وفيه استباق داخلى لما سيكون من أمره معهم ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) ﴾ ومن ثم طلب امرأة فرعون الإبقاء

عليه ، واتباع أخوته له ، وتحريم المراضع عليه ، وإعادته من ثم إلى أمه ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾ .

وتمضى الطفولة ، وبعد قطع مشار إليه ، ننقل إلى شباب موسى حيث يوجز الحكى حدث قتله للقبطة ، وخوفه من انكشاف أمره ، وخروجه إلى مدين ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ (٢٢) يتخلل هذا الإيجاز مشاهد قصيرة ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَعَمْتُ عَلَىٰ فُلْنٍ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾ ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) ﴾ ﴿ قَالَ يَامُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) ﴾ ﴿ قَالَ يَامُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) ﴾ ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) ﴾ .

ويستمر تداخل المشهد الحوارى والإيجاز ، واقتسامهما الحكى ، إلى أن يبدأ موسى فى العودة إلى مصر (٢٣ - ٢٩) ويبدأ تكليف الله له بالدعوة ؛ فيعود المشهد الحوارى ليهيمن على الحكى مرة ثانية ، شأن كل الأحداث المهمة ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ (٣٥)

ويستمر المشهد كذلك فى دعوة موسى آل فرعون ، بعد حذف يدل عليه السياق ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُقَرَّرٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولِينَ (٣٦)

(وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) ۞ وتأتى الخاتمة فى إيجاز يشير إلى سهولة الأخذ ، وضعف المأخوذ ۞ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) ۞ .

– فى قصة موسى والعبد الصالح :

تتكون الحكاية من خمسة مقاطع سردية متتالية زمنيا ، تبدأ بمشهد استباقى داخلى ، لا يلتزم فيه السرد بتوجه معين للأحداث ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَّاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) ۞ يترك المتلقى فى حالة تساؤل عن مصير موسى كيف سيكون ، لكن وبعد حذف لأحداث ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ۞ وكان موسى ينتظر هذه العلامة ۞ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ۞ (٦٤) فهناك ما خرجا من أجله ۞ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ۞ ومن ثم يدور حوار بين موسى والعبد الصالح يستمر حتى النهاية يتخلله إيجاز فى مواقع مختلفة ۞ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۞ (٧١) ۞ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ۞ (٧٤) ۞ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ۞ (٧٧) وأربع مرات نجد استرجاعا داخليا حين يذكر العبد الصالح موسى بما قال له من قبل ۞ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) ۞ فنجد ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) ۞ ونجد ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) ۞ و ۞ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) ۞ وفى الخاتمة ۞ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ۞ .

ـ فى قصة يوسف عليه السلام :

تتكون القصة من ثمانية مقاطع سردية تتوزع على أربعة عشر موقعا زمنيا : المقطع الأول رؤيا يوسف (٤ - ٦) يقع فى موقع زمنى واحد يبدأ بمشهد استباقى تمهيدى بين يوسف وأبيه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٤) ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٥) ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (٦) نرى فيه تلك الرؤيا التى سيكون لها شأن فيما بعد ، ونتعرف طبيعة العلاقة بين يوسف وإخوته ، وبين يوسف وربه . ومن ثم تبدأ القصة مع المقطع السردى الثانى حسد الإخوة (٧ - ١٨) الذى ينطوى على أربعة مواقع زمنية متتالية تاريخيا ، يهيمن فيها المشهد الحوارى يتخلله الحذف والإيجاز ، فنحن نبدأ بحوار بين إخوة يوسف أنفسهم ، وبينهم وبين أبيهم ، نرى فيه تفصيل العلاقة بينهم وبين يوسف : (٨ - ١٨) وفى هذا المشهد نجد حذفاً يفصل حوار الإخوة مع أنفسهم " الموقع الزمنى الأول " وحوارهم مع أبيهم " الموقع الزمنى الثانى " ونجد إيجازاً يجمع الأحداث ما بين ذهابهم بيوسف وعودتهم بدونه إلى أبيهم " الموقعين الزمنيين الثالث والرابع " ﴿ قُلْنَا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٥) ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (١٦) ﴿ بعد ذلك ينتقل السياق إلى يوسف فيوجز جانباً من حياته (١٩ - ٢١) ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٩) ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (٢٠) ﴿ وينتقل يوسف بذلك من حياته الطبيعية الأولى إلى حياة أخرى جديدة ، حياة الرق ، ولكن ثم فى التمهيد للقصة رأينا علاقته بربه ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى

٥ (٦) فيتجلى أثر هذه العلاقة ههنا ، فى استرجاع شديد الأهمية ليوسف ، مع انتقاله من الحرية إلى العبودية ؛ ويوجز السياق ذلك ٥ وقال الذى اشترأه من مصرَ لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض وللعلمة من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢١) ٥ ومن ثم يُحذف جانب من حياته (مرحلة الصبا) فيأتى المقطع السردى الرابع (٢٢ - ٣٤) محنة المراودة ، ليتشكل فى أنماط زمنية مختلفة ؛ تبدأ باستباق (تمهيدى) ٥ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ٥ يلي ذلك مشهد حوارى بينه وبين امرأة العزيز ٥ وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون (٢٣) ٥ ثم يرد الحديث عن الهم موجزا سريعا فى صور متلاحقة ٥ ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ٥ ومن ثم يعود السياق إلى إيقاعه الطبيعى ليمنع أن يلحق بيوسف أى ظن يسىء إليه (فى استرجاع ثان) : ٥ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤) ٥ ثم يعود الإيجاز السريع ، والصور المتلاحقة مرة أخرى ٥ واستبقا الباب وقذت قميصه من دبره وألقيا سيدها لدى الباب ٥ ومن ثم تهدأ الأحداث ، ويلي الإيجاز مشهد حوارى ٥ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ٥ ثم يأتى حديث نسوة المدينة ويستمر المشهدالحوارى ، يتخلله إيجاز دعوة امرأة العزيز للنسوة ٥ فلما سمعتن مكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (٣١) ٥ يعود بعده المشهد بحوار بين امرأة العزيز والنسوة ، ثم بين يوسف وربه ، وبعد ذلك بينه وبين صاحبي السجن ، فى المقطع السردى الخامس (٣٥ - ٤٩) حيث ينتهى بإيجاز وقطع بعده تأتى رؤيا الملك ... ٥ وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عذ ربك فأنساه الشيطان ذكر ربّه قليث في السجن يضع سنين (٤٢) وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات

خَضِرَ وَأَخْرَ يَاسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَقْثُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ(٤٣) ۞ ويعود المشهد بحديث المَلَأُ ، ثم الذى نجا منهما ، ثم تأويل يوسف للرؤيا ، فشهادة نسوة المدينة وامرأة العزيز ببراءة يوسف " المقطع السردى السادس " وبعد ذلك حوار يوسف مع الملك ، يلى ذلك إيجاز لمدة من حياة يوسف ۞ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ لِنُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعَ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦) ۞ ثم استباق خارجي ۞ وَلَاجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٧) ويأتى اللقاء الأول بين يوسف وإخوته " المقطع السردى السابع " ۞ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُتْكِرُونَ(٥٨) ۞ ويدور حوار بينه وبينهم يطلب أخاه ، ثم بينه وبين فتياته ، ثم بين إخوته وبين أبيهم يطلبون منه أن يرسل معهم أخاهم ، وهو يسترجع ذكرى يوسف حين استأنهم عليه من قبل ، ثم يرسله معهم ويوصيهم ، ويستمر المشهد الحوارى ، وتتغير الشخصيات ، ويحذف حدث الرحلة إلى مصر ، ويسترجع الحوار جزءا (مكذوبا) من ماضى الشخصيات ۞ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُصِفُونَ(٧٧) ۞ ويستمر الحوار ، بين يوسف وإخوته ، وبينهم وبين أنفسهم ثم يتداخل تداخلا لطيفا بحوارهم مع أبيهم : ۞ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ(٨١) وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٨٣) ۞ وثم حذف لحدث الانتقال إلى الأب ، وأيضا هنا استباق حدسى ۞ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۞ ۞ يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ۞ ومن ثم كان تعرفهم على يوسف سريعا حين سألهم ۞ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ(٨٩) قَالُوا أَتَيْنَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۞ ويستمر المشهد الحوارى بين يوسف وإخوته ، بعد قطع حدث قدومهم إليه ، ثم بين إخوته وأبيهم ، ويحذف كذلك حدث قدوم أبيه " المقطع السردى الثامن " ويستمر الحوار بين يوسف

وبينهم جميعا ثم بينه وبين أبيه ، فى استرجاع داخلى لحدث الرؤيا فى طفولة يوسف ، ولأحداث أخرى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَنُو مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٠٠) ﴿ وتختتم القصة بمشهد يناجى فيه يوسف ربه ، يثنى عليه ، ويدعوه ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَكَّلْتُ مُسْلِمًا عَلَى الْحَقِّينِ ﴾ بالصالحين (١٠١)

– قصة قارون :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى موجز ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ ومن ثم يأتى تفصيل ذلك البغى فى إيجاز يعقبه مشهد حوارى بين قارون والعارفين من قومه ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٧٦) ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ يلى ذلك استرجاع خارجى موجز ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ ثم قطع فوصف يقدم قارون نموذجا لزينة الحياة الدنيا ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ويستمر المشهد الحوارى بين الذين يريدون الحياة الدنيا والذين أوتوا العلم ، وتأتى نهاية قارون فى إيجاز ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ (٨١) ﴿ وهنا يعود الغافلون من غفلتهم فى استرجاع للعبارة البينة من قصة قارون ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ

بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ
بِنَا وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴿ .

— قصص سليمان عليه السلام :

أ - فى سورة ص :

تبدأ القصة باستباق داخلى ، تمهيدى ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾ ثم
تبدأ الأحداث فى الكشف عن أسباب هذا المديح ، وتبيين تلك الأوابية التى يتصف بها سليمان تبدأ
بإيجاز عرض الصافنات الجياد ، ثم مشهد حوارى بينه وبين نفسه ، وبينه وبين عارضى الجياد
﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾ أما قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ
عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ فهو كلام معترض ، للدلالة على يقظة قلبه ، وشدة تعلقه بذكر ربه ، فهو فى
غمرة انشغاله باستعراض الصافنات الجياد يذكر أنه قد أخطأ إذ أغفله الاستعراض عن ذكر
ربه ، وإن كانت هذه الغفلة لا تستمر حتى تتوارى بالحجاب ، فيعود إلى ربه يستغفره ويسأله
الملك ، فيستجيب له ربه ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ
كُلًّا بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ (٤٠) ﴾ وعلى هذا فالأقرب أن الفتنة التى فتتها
سليمان ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ كانت هى انشغاله
بالصافنات الجياد عن ذكر ربه ، إذ يعيدنا هذا الاسترجاع إلى الاستباق التمهيدى عن أوابية

سليمان في بداية القصة ، فهو استرجاع على استباق لتأكيد أوابيته ، أى كثرة إنابته ورجوعه إلى ربه .

ب - فى سورة النمل :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى مجمل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ (١٥) ثم بعد قطع لمدة من الزمن ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ يأتى مشهد يوجز فيه سليمان عظيم فضل الله عليه ، و يوضح كذلك ماهية العلم الذى آتاه الله إياه ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (١٦) ثم إيجاز يعرض ملكه ، ويكتمل هذا العرض بمشهد ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (١٧) حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل انخلوا مساكنكم لا يحطمتكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون (١٨) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأنخلني برحمتك في عبادك الصالحين (١٩) ثم قطع فايجاز فمشهد ﴿ وَلَقَدْ وَفَّقَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ (٢٠) لأعذبه عذابا شديدا أو لأدبحه أو ليأتيني بسلطان مبين (٢١) ثم قطع مشار إليه ، فمشهد حوارى بين سليمان والهدود ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَحِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ ﴾ (٢٢) ﴿ اذْهَبْ يَكْتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٢ - ٢٩) يلى ذلك قطع فمشهد حوارى بين ملكة سبا والملا من قومها ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ إِنِّي أُلْقِيَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢٩) ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهِدِيَّةٍ قَنَاطِيرُءٌ يَمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣٠ - ٣٥) ثم قطع فحوار بين سليمان ورسل الملكة ثم بين سليمان وملاه ٣٦ - ﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٤١) ثم قطع فحوار بين سليمان وملكة سبا ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا

عَرَّشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿ يَقْطَعُهُ اسْتِرْجَاع (خارجي) ﴾ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) ﴿ (١٧) .

ومن ثم تختتم القصة باكتمال الحوار ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ .

— قصة أصحاب الكهف :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى (تكرارى) يختلف عن باقى الاستباقات التى مرت بنا حتى الآن ، إذ تعرض القصة بكاملها فى ثلاث لقطات موجزة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا (١٢) ﴾ ثم على الترتيب نفسه تفصل الأحداث فى هيئة استرجاعات خارجية ، قبل دخولهم إلى الكهف ، ثم داخلية بعد ذلك ، ويبدأ تفصيل الأحداث بوصف أصحاب الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ ثم مشهد حوارى بينهم وبين أنفسهم يفصل الاعتزال والإيواء إلى الكهف ، ومن ثم توجز المدة التى أمضوها فى الكهف ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ

(١٧) قوله تعالى : ﴿ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) ﴾ إذا كان من كلام الملكة - وقد يكون - فلعلها أسلمت عند ورود كتابه إليها ، فقد وصفته بأنه كتاب كريم ، فأغلب الظن أنها لم تستشر قومها إلا بعد أن قرأته ورددت فيه النظر مرات ومرات ورات = فيه رأيها . والنص يحتمل كذلك أن هذا يكون من كلام سليمان ؛ لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ فكان يعلم أن الذى صدها هو ما كانت تعبد من دون الله ؛ إذ كانت من قوم كافرين .

الشَّمَال وَهُمْ فِي قَجْوَةٍ مِنْهُ ﴿ ... ﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا (١٨) ﴿

هنا يعرض الحدث في تواتره : يُعرض مرة واحدة ما يحدث مرات متعددة ، وهو الحدث الوحيد المتعلق بهم طوال مدة لبثهم ، طلوع الشمس وغروبها عليهم ، وتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال .

ويستمر الحوار بينهم بعد بعثهم متسائلين عن مدة لبثهم ، وبعد إيجاز لمدة من حياتهم ﴿ وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (٢١) يتنازع القوم بينهم أمرهم ويستمر الحوار ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْتَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) ﴾ ويستمر الحوار في صيغة استباق العليم ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِيَهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِثَ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾ (٢٦) .

— قصة صاحب الجنتين :

تبدأ القصة باستباق يوجز عطاء الله لأحد رجلين متحاورين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْهُ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَقَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ (٣٤) الكهف . ومن ثم يسيطر الحوار على القصة ؛ في مفاخرة صاحب الجنتين ، ونصح صاحبه له (٣٤ - ٤١) وتختتم بوصف يقف فيه الزمن ، فقط تُعرض صورة صاحب الجنتين في يأسه ﴿ وَأَحْبَطَ بِثَمَرِهِ

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَى مَا آتَقَفَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ۞ وفيها استرجاع لما قال له صاحبه من قبل ۞ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فُتُصِيحُ صَاعِدًا زَلَقًا (٤٥) أَوْ يَصْيحُ مَأْوَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤٦) ۞ هذا والقصة كلها استرجاع لقوله تعالى قبل : ۞ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ۞ .

— قصة أصحاب الجنة :

تتكون القصة من أربعة مقاطع سردية يتوالى فيها الزمن تاريخيا (خطيا) بعد بداية القصة التى تأتى على هيئة استرجاع خارجى (خارج القصة) يتصل بقصة أصحاب الجنة بعلاقة المشابهة فى الابتلاء وعلى الاسترجاع يأتى استباق داخلى (إعلانى) ۞ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ (١٨) ۞ القلم . وبعدها تعرض الأحداث فى لقطات سريعة يبدو فيها التوالى الزمنى واضحا ۞ قَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَفُوا وَهُمْ يَخْافُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ (٢٤) وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ۞ ومن ثم تختتم القصة بمشهد حوارى بين الإخوة وبعضهم يستعيدون فيه ما كان من بعضهم من نصح ، وما كان منهم من ظلم ۞ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا

خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) ۞ ومن ثم نعود مرة أخرى إلى البداية باسترجاع يعيدنا مرة أخرى إلى حاضر السرد ۞ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣) ۞ فهكذا كان عذاب أصحاب الجنة ، ولكن هناك عذابا أكبر يوم القيامة ، لو كان يعلم الذين بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة .

– في قصة ابني آدم عليه السلام :

نبدأ القصة مع الاسترجاع الخارجى ، وإيجاز أحداث القربان ، ومن ثم يبدأ مشهد حوارى بين الأخوين ۞ وَآتَى عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) ۞ (٣٠) المائدة . ثم إيجاز أحداث القتل وإرسال الغراب ومن ثم يأتى مشهد الندم ليختتم القصة ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(٣١) ۞ .

– في قصة ذى القرنين :

تتكون القصة من ست وحدات سردية ، تتوزع على أربعة مواقع زمنية : الموقع الأول موقع حاضر السرد ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣) ۞ ومعه تبدأ الوحدة السردية الأولى بمفارقة زمنية تأخذ شكل استباق داخلى يحدد موضوع القصة ، وأنها خبر ذى القرنين ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا(٨٤) ۞ و بعد إيجاز مدة من الزمن ۞ فَاتَّبَعَ سَبَبًا(٨٥) ۞ يتم

الانتقال زمنياً إلى الموقع الثانى ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عَنْدَهَا قَوْمًا ﴾ (٨٦) ومن ثم يبدأ حوار بين الله وذى القرنين (٨٦ - ٨٨) يليه إيجاز
﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ (٨٩) يعقبه الموقع الزمنى الثالث ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ
عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴾ (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ﴿ ثُمَّ إِيَّاهُ
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ (٩٢) يليه الموقع الزمنى الرابع الذى يسيطر عليه المشهد الحوارى بين ذى القرنين
والقوم الذين وجدهم بين السدين ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿ ﴾ (٩٣ - ٩٨)
ومن ثم تختتم القصة باستباق خارجى ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ (٩٩) أو هى اختتمت من قبل بالمشهد الحوارى السابق .

— خصائص البنية الزمنية فى القصص القرآنى :

رأينا كيف يهيمن المشهد الحوارى على السرد القصصى القرآنى ، ومن خصائص المشهد
أننا فيه نجد التحام الزمن القصصى بالزمن السردى ، ويصير حاضر السرد هو حاضر
الأحداث ، فيتحول المتلقى إلى مشاهد يعاين الوقائع بنفسه ، ينفعل بها ، ويتفاعل معها كأنه واحد
من شخصيات المشهد . ويتناوب الحذف ، والإيجاز ، والمشهد كثيرا ؛ الحذف يتخطى أحداثا لا
يحتاجها الموقف القصصى ، وهو يتراوح بين أن يكون حذفاً ضمناً ، يستدل عليه من ثغرة فى
التسلسل الزمنى ، أو انحلال للاستمرارية السردية كما نجد مثلاً فى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) ﴿ ص . وكما رأينا فإن جل
حذوف القصص القرآنى من هذا النمط ، وفى مواطن كثيرة نستطيع الاستدلال على الحذف من

مواضع أخرى فى سياقات مختلفة ، ومرة واحدة فقط وجدنا حذفاً محدود المدة ، فى قوله تعالى من قصص نوح عليه السلام فى سورة العنكبوت : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٤) - والإيجاز يعرض للأحداث عرضاً سريعاً مجملاً لأهمية ذكرها فى السياق ولكن فى غير تفصيل ، كما فى وظيفة الإهلاك والنجاة ، فى قصص الأنبياء ، التى تأتى - غالباً - موجزة ؛ فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل ، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة - والمشهد يعرض الأحداث الرئيسية المشكلة للعمود الفقرى للنص ، وهو يأتى غالباً على هيئة حوار خارجى أو مونولوج داخلى (١٨) . ولكن " بالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر صرفاً للمشهد ، فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهدياً ... فإن ما يميز مشهداً ما هو كم الإخبار القصصى والمحو النسبى للراوى " (١٩) و " يعطى المشهد للقارئ إحساساً بالمشاركة الحادة فى الفعل ، إذ إنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط ، فى لحظة وقوعه نفسها . ولا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التى يستغرقها صوت الروائى فى قوله ، لذلك يستخدم المشهد اللحظات المشحونة ، ويقدم الراوى دائماً ذروة سياق من الأفعال وتآزمها فى مشهد " (٢٠) ؛ ويرى " ويليام هاندى " بحق ، أن المشهد فى العمل السردى يمكن أن يُنظر إليه على أنه مماثل للصورة فى الشعر ، ومن ثم يضيف أن " كلا من المشهد والصورة يمتلك الخصائص الأساسية نفسها :

١ - كلاهما يعرض أكثر مما يوحى .

(١٨) Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des science du langage, éd. du Seuil, coll. Points, 1995, P. 713

(١٩) شلوميت ريمون كنعان ، التخيل القصصى : الشعرية المعاصرة ، ترجمة لحسن أحمامة ، دار الثقافة (الدار البيضاء) ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ٨٥

(٢٠) عبد العالى بوطيب ، إشكالية الزمن فى النص السردى ، مجلة فصول العدد الثانى ، المجلد الثانى عشر ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٩ ؛ وربما لهذا السبب نجد اعتماد الرواية على المشهد كثيراً ؛ لدوره الكبير فى استبطان النفس ، وإضاعة جوانب الأحداث ، وإسهامه فى البناء القصصى ، انظر : يوسف نوفل : الفن القصصى بين جيلى طه حسين ونجيب محفوظ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ ، ص : ٢٥٦ ، وانظر للمؤلف نفسه : فى القصة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص : ١٠٥

- ٢ - كلاهما يشكل مظهرا مفردا لمعنى مضاعف .
- ٣ - كلاهما يقصد إلى صياغة الخصوصية ، أى نسيج التجربة .
- ٤ - كلاهما موجه ، أولا ، إلى الحس - وليس إلى الفكر المجرد .
- ٥ - كلاهما يتخطى المفهوم فى احتوائه معنى أكبر مما يستطيع المفهوم أن يصوغه من خلال طبيعته الأصلية . " (٢١) ، إنها اللحظات الأكثر توترا فى القصة يعرضها المشهد الحوارى (غالبا) فى القصة القرآنية ، كما رأينا مثلا فى قصص الأنبياء ، حيث تأتى دائما وظيفتا : الدعوة ، والتكذيب على صورة مشهد حوارى ، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية فى القصص القرآنى بوصفه وسيلة دعوة . والوصف يكاد لا يوجد فى القصص القرآنى اللهم إلا فى مواضع معدودة ؛ أظهرها ما قابلنا من وصف لقارون فى سورة القصص ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه دمية تمثل زينة الحياة الدنيا ؛ تُعرض فى صمت ليفتن الناس بها . وكذلك وصف صاحب الجنتين فى سورة الكهف ، حين ضاعت جنتاه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ .

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمنى القصة والسرد ، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق ، يهوىء نفس المتلقى ، ويوجه توقعاته ، كما رأينا فى قصص آدم عليه السلام ؛ حيث هناك الاستباق الإعلاني الذى يتصدر أكثر القصص ، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين ، وما يلى بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق ، كما رأينا من رفض إبليس السجود لمخلوق طينى . وحين تبدأ قصة آدم فى سورة طه باستباق داخلى عن نسيان آدم ، فإن السرد يسير من ثم على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم . وكما رأينا أيضا فى قصص سورة القمر ، التى تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة ، الذى كان دائما تكذيب قوم نبي من الأنبياء .

(٢١) ويليام هاندى : نحو نقد شكلى للرواية ، ترجمة عيسى العاكوب ، مجلة شئون أدبية ، السنة الثانية ، العدد ٦ ، ١٩٨٨ ، ص: ٦٩

والاستباق المختلط في القصص القرآني له خصوصيته التي تتمثل في انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل في القيامة ، كما في قصة آدم من سورة طه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (١٢٦) ﴿ أو كما نرى في قصة ذي القرنين من سورة الكهف : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَتَفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴿ .

والاسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني ، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذي يبدأ به أكثر القصص ؛ فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم في قصة هود عليه السلام من سورة هود : ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (٦٠) ﴿ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية ؛ وهذا راجع أولا - لطبيعة صاحب الخطاب عز وجل عالم الغيب والشهادة ؛ وثانيا - لطبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة . وربما تركز الاسترجاع في قصص نبي من الأنبياء ، كما في قصص لوط عليه السلام من سور : القمر ، والشعراء ، والحجر ، والعنكبوت ؛ في القمر يأتي الاسترجاع للتذكير بأن ما حل بقومه إنما كان جزاء وفاقا لما قابلوا به دعوته لهم وإنذاره ، من تجاهل وتكذيب ، ومثل ذلك في سورة الشعراء ؛ بينما في سورتي الحجر والعنكبوت ، فيأتي استرجاع جانب من قصص إبراهيم عليه السلام . وفي قصة موسى والعبد الصالح نجد الاسترجاع أربع مرات متتالية ، كما رأينا من قبل .

وتجدر الإشارة إلى أن القصة القرآنية ، لوجودها في فضاء النص القرآني ، تخضع لزميتين مختلفتين : الأولى تتعلق بزمان القصة القرآنية ، وتتعلق الثانية بزمان النص القرآني ؛ زمن القصة

يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها ، وزمن النص القرآني يحيط بزمن القصة ، ويحتويه ، ويمكن أن نعدده زمنا حاضرا للسرد ، أو زمنا أول تقاس المفارقات الزمنية الكبرى بالنسبة إليه ؛ فالقصة بكاملها تكون استرجاعا أو استباقا حين تتعلق بهذا الحاضر الزمني للنص ، كما رأينا مثلا في قصة أصحاب الجنة : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) ﴾ أو في قصص سورة القمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) ﴾ وفي غيرها .

٢ - الصيغة السردية

لاحظنا فى الفصل السابق هيمنة الصيغتين الرئيسيتين (المشهد الحوارى والموجز) وبروز خصائصهما فى زمنية السرد القصصى القرآنى ؛ وكلامنا هنا سينبنى على الكلام هناك ؛ لأن التمييز بين هاتين الصيغتين - أولا - لا يتأتى إلا من خلال التمييز بين زمن القصة وزمن الحكاية - وثانيا - لأن البحث فى الصيغة يقوم أساسا على هذا التمييز بين الخطابين : المسرود ، والمعرض ؛ أى إلى الموجز ، والمشهد الحوارى .

منذ جمهورية أفلاطون ، نجد التفريق بين طريقتين لنقل الكلام : أ - الحكاية الخالصة ، حيث يكون الشاعر نفسه هو المتكلم ، من غير أن يحاول الإيحاء بأن أحدا آخر هو الذى يتكلم . ب - المحاكاة (التقليد) حيث يبذل الشاعر جهدا ليحملنا على الاعتقاد بأنه ليس هو المتكلم ، وإنما شخصية ما . فالمحاكاة من ثم تحيل على النقل غير المباشر للكلام (١) .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين يعود الحديث مرة أخرى عن الحكاية الخالصة والمحاكاة ، ولكن تحت أسماء أخرى : كالتعبير (Telling) والعرض (Showing) مع " هنرى جيمس " وأتباعه . حيث دعا " هنرى جيمس " إلى توجيه الاهتمام إلى عرض الحدث ، أو مسرحته ، لا إلى سرده ؛ فعلى القصة أن تحكى نفسها بنفسها . أو كما يقول " بيرسى لبوك " : إن على الكاتب أن يتجه نحو الدراما فيأخذ له موضعا وراء المحدث ، تاركاً الشخصيات تعبر عن نفسها بتلقائية ، بعيدا عن تدخله المباشر بأفكاره الخاصة (٢) .

(١) Yves Reuter, introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996, P. 61 & Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des science du langage, éd. du Seuil, coll. Points, 1995, P. 229

(٢) بيرسى لبوك ، صنعة الرواية ، ترجمة عبد الستار جواد ، دار الرشيد للنشر ، ط ١ ، ١٩٨١ ، ص ١٣٨-١٣٩

ولدى الشكليين الروس ، نجد كذلك هذا التمييز ، ولكن ، كما نرى عند " توماشفسكى " تحت اسم : السرد الموضوعي Objectif والسرد الذاتى Subjectif فى الحالة الأولى نجد الراوى المحايد ، الذى لا يتدخل فى سير الأحداث ، وإنما يصفها فحسب كما يراها ، تاركا الحرية للقارئ فى تفسير ما يحكى له . بينما فى السرد الذاتى تُقدم الأحداث من خلال ذات الراوى ، فتأتى مشبعة بأفكاره التى يحاول أن يفرضها على القارئ ، ويحمله على الاعتقاد بها (٢) .

وحتى لا يأخذنا الحديث عن تاريخ الصيغة السردية ، وهو تاريخ طويل ، متشعب ، تتداخل فيه اختصاصات مختلفة ؛ فإننا نعود إلى تحديد مجال البحث الذى ينطلق أساسا من الأدبية (الشعرية) الحديثة ، كما رأيناها عند أصحاب مجلة Communication مثل Todorov الذى يرى أن مقولة الصيغة ، ويسمونها : سجلات الكلام (٣) Registres de la parole تتعلق بطريقة الراوى فى عرض المحكى وتقديمه . فنحن بواسطة الكلمات نستحضر كونا مصنوعا من الكلمات ، وآخر مصنوعا من النشاطات غير اللفظية ، وهذا لا يطرأ عليه تنوع فى الصيغة ، إنما تنوعات تاريخية تُنتج ، بنجاح متفاوت وحسب مواضع العصر ، وهم الواقعية . وبعبارة ذلك فإن لقص الكلام أنواعا متعددة ؛ لأن الكلام يمكن أن يأتى بهيئات متغايرة ، متفاوتة الأهمية ؛ ومن ثم يعرض لاقتراح Genette الذى يميز فيه بين درجات ثلاث من الإقحام : الأسلوب المباشر ، وفيه لا تطرأ على الخطاب أية

(٣) الشكلايون الروس : نظرية المنهج الشكلى . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٢ ، ص ١٨٩ وانظر أيضا : جان إيف تاديه ، الشكليون الروس ، ترجمة قاسم المقداد ، مجلة المعرفة ، سوريا ، السنة ٣٠ ، العدد ٣٣٢ مايو ١٩٩١ ، ص : ١٠١

(٤) لأن العمل الأدبى - كما يقول - ليس مصنوعا من كلمات وإنما من جمل تنتمى إلى سجلات مختلفة من سجلات الكلام ، ووصف هذه السجلات يمثل أول مهمة على الناقد أن يقوم بها ، حيث ينبغى أن نبدأ بمعرفة الوسائل اللسانية التى تتوفر للكاتب ، ينبغى أن نعرف خصائص الكلام قبل إقحامه فى العمل الأدبى ، فذلك ضرورى لمعرفة الخطاب الأدبى ذاته . Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, . Paris, Ed.du Seuil, Coll. Points, 1968, P. 39-40 ونودوروف ، الأدب والدلالة ، ترجمة محمد نديم خشفة ، مركز الإثراء الحضارى (سوريا) ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ٨١

تعديلات ، والأسلوب غير المباشر أو " الخطاب المحكى " حيث نحافظ على مضمون الرسالة التي افترض التلفظ بها ، ولكن بإدماجه نحويًا في قصة الراوى ؛ كأن نختصر أو نحذف الانطباعات العاطفية ؛ والدرجة الأخيرة من تغيير كلام الشخصية هي : الخطاب المروى ؛ ويكتفى فيه بتسجيل مضمون عملية الكلام دون الاحتفاظ بأى عنصر منه (٥) .

وفى مقال سابق كان Todorov يرى أن هناك نمطين رئيسيين من أنماط السرد ، هما : التمثيل (العرض) *représentation* والحكى *narration* يقول Todorov : " يمكن أن نفترض أن هاتين الصيغتين فى السرد المعاصر تأتيان من مصدرين مختلفين : الإخبار *la chronique* والدراما *le drame* والإخبار أو التأريخ ، حسب ما نعتقد ، حكى خالص ، حيث يكون المؤلف مجرد شاهد ينقل الوقائع ، والشخصيات الروائية لا صوت لها . والقواعد المتبعة هي قواعد الجنس التاريخى . وعلى العكس من ذلك ، ففي الدراما لا تنتقل القصة خبرا ؛ فهي تجرى أمام أعيننا ... فليس هناك سرد ، والحكى مضمّن فى حوار الشخصيات الروائية " (٦) .

أما Genette فيقارب الصيغة السردية ، معتمدا على تعريف " ليتريه " *Littre* وهو يحدد المعنى النحوى لمادة *mode* بأنها " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة المستخدمة لتأكيد الشيء المقصود ، وللتعبير عن ... وجهات النظر المتغايرة " * فيرى أن هذا التعريف شديد الأهمية ؛ إذ إننا نستطيع أن نروى كثيرا أو قليلا مما يُروى ، وأن نرويه من وجهة النظر هذه أو تلك ، وهذه القدرة وأشكال ممارستها ، هي التى تشير إليها مقولة

(٥) Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme, P.51

(٦) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, Communications n8, éd. du Seuil, coll. Points, 1981, P. 150

* « nom donné aux différentes formes du verbe employées pour affirmer plus ou moins la chose dont il s'agit, et pour exprimer ... les différents points de vue auxquels on considère l'existence ou l'action »

الصيغة السردية التي يقترحها (٧) . ومن ثم فالمسافة التي يكون عليها فعل الحكى Le récit من القصة l'histoire التي يتضلع بوصفها ، وكذلك المنظور أو وجهة النظر التي يتبناها هما - يقول Genette - الشكلا الأساسيان لذلك التنظيم الذي يتشكل فيه الخبر السردى ، ويسمى الصيغة (٨) .

بعد ذلك يتحدث عن حكاية الأحداث ، وأنها مهما تكن صيغتها فهي دائما حكاية ، أو نقل لغير اللفظى إلى ما هو لفظى ، ثم حكاية الأقوال التي يميز فيها بين حالات ثلاث من خطاب الشخصية تبعا للمسافة السردية :

١- الخطاب المسرود ، أو المروى Le discours narrativisé وهو الحالة الأبعد مسافة والأكثر اختزالا. وفيه يختفى تماما كل صوت ماعدا صوت الراوى ، الذى يسرد الأحداث وأقوال الشخصيات ، سواء بسواء ، بلغته هو ، فلا يعود من كلام الشخصيات غير أثر ضعيف ، ربما يُرجع إليهم لكنه لا يعبر عنهم .

٢ - الخطاب المحول Le discours transposé أو الأسلوب غير المباشر Style indirect وهو خطاب أكثر محاكاة من الخطاب المروى ، لكنه لا يمنح القارئ أى شعور بأمانة النقل للأقوال المنطوقة فى الواقع ، وذلك لأن حضور السارد فيه شديد الوضوح ، مما يمنع الخطاب أن يفرض نفسه باستقلال وثائقى يتوفر أكثر فى الاستشهاد ؛ فالسارد ههنا لا يكتفى بنقل الأقوال ، وإنما يدمجها فى خطابه الخاص ، و يؤديها بأسلوبه .

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972, P. 183

(٨) Ibid. P. 184

٣ - الخطاب المنقول *Le discours rapporté* وهو أكثر الأشكال محاكاة ، وفيه يتظاهر السارد بإعطاء الكلمة حرفيا لشخصيته ، والغريب أن واحدة من أكبر طرق تحرر الرواية الحديثة قد قامت على دفع محاكاة الخطاب هذه إلى أقصى مداها ، بل إلى منتهاها ، وهي تمحو آخر آثار المقام السردى معطية الكلمة منذ البدء للشخصية السردية (٩) .

وربما أضاف بعضهم ، إلى هذه الحالات الثلاث ، حالات أخرى من خطاب الشخصية ، منها : الأسلوب غير المباشر الحر *Le Style indirect libre* وهو ليس إلا تنويع على الخطاب المحول ؛ والخطاب المباشر أو الاستشهاد النصي بـ *Le discours immédiat* وفيه يحى الراوى ، وتحل محله الشخصية (١٠) ، وهناك أيضا الخطاب المباشر الحر وهو ، فيما نقول شلوميت ، الشكل النموذجي لضمير المتكلم فى المونولوج الداخلى (١١)

ولكننا فى دراستنا لطرائق القول فى القصص القرآنى ، لن نكون بحاجة لكل هذه الحالات ؛ لأن التنوع الصيغى - كما سنرى - ليس كبيرا ، ويمكن حصره فى الحالات الثلاث التى عرض لها Genette فى حديثه عن حكاية الأقوال ، الذى يمكن أن نضمنه - دون أى خوف من خطر الوقوع فى اللبس - حكى الأحداث ، الذى يأتى بصيغة الخطاب المسرود ، وبذلك يقع ضمن الحالة الأولى التى تحدث عنها (صيغة الخطاب المسرود) وفيها يوجز المتكلم أقوال الشخصيات ، كما يسرد أى حدث ، فلا يكون هناك أى علاقة بين كلامه وما تتطرق به الشخصيات ، اللهم إلا مرجعية تكاد تكون مبهمه لمحتوى كلامهم . وإذا

(٩) Ibid. P. 191-193

(١٠) Gérard Genette, Ibid. P. 194 & Vincent Jouve, La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999, P. 30-31

(١١) شلوميت كنعان ، التخييل القصصى ، ص ١٦٠-١٦٢ ، وهى تنقل ، فى حالات عرض الكلام ، عن ماكهيل ، مقياسا تصاعديا يتسلسل من الحكائى على نحو صرف إلى المحاكاتى على نحو صرف ، هذه الحالات (السبع) هى على التوالى : التلخيص الحكائى / التلخيص الحكائى الأقل صرفا / الصياغة الجديدة للمضمون غير المباشر / الخطاب غير المباشر ، محاكاتها إلى درجة ما / الخطاب غير المباشر الحر / الخطاب المباشر / الخطاب المباشر الحر .

كانت الحالة الأولى تشمل حكي الأحداث والأقوال ، فإن الحالة الثانية (صيغة الخطاب المعروض) تختص بحكي الأقوال فحسب ، و تأتي في أشكال مختلفة ، منها : صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وفيه نجد نص حوار الشخصيات كما جرى في الواقع ، لكن ينقله متكلم خارجي (غير شخصيات الحوار) مع التنصيص على أن الكلام لتلك الشخصيات ، وصيغة الخطاب المنقول غير المباشر ، وفيها ينقل المتكلم حوار الشخصيات دون التنصيص على ذلك ، وأخيرا صيغة الخطاب المعروض غير المباشر ، حين يتداخل الخطاب المسرود والخطاب المعروض تداخلا يصعب الفصل فيه بين الصيغتين .

- قصص آدم عليه السلام :

أ - في سورة ص :

﴿ قل هو نبيّ عظيم ﴾ (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) ﴿ يبدأ الحكي بصيغة المعروض غير المباشر في تداخل صيغى ، يجمع بين المسرود والمعرض في صيغة موحدة ، حيث يبدأ الخطاب بصيغة المسرود الموجه مباشرة من القائل عز وجل إلى محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ قل هو نبيّ عظيم ﴾ ثم تتحول الصيغة ضمن المسرود إلى صيغة المنقول المباشر حيث تتداخل الصيغتان تداخلا وهميا سرعان ما يتكشف عن صيغتين متغايرتين ، ووظيفتين مختلفتين أولا هما أمر بالقول ، والأخرى تنفيذ هذا الأمر في سرعة توحى باندماج الأمر في الفعل ؛ فهذا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمام كفار مكة يتحدث إليهم ، قبل اكتمال ما أريد منه ، ليكتمل في عمله هو - اختصارا معجزا بليغا - فالخطاب المسرود في

صيغة الأمر لاستغرق أكثر من آية ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) ﴿وَهَنَّاكَ بَقِيَّةٌ تَأْتِي فِي صِيغَةِ أُخْرَى ، صِيغَةِ الْمَنْقُولِ الْمُبَاشَرِ .

وبعد القطع يأتى الخطاب بصيغة المنقول المباشر كذلك مع اختلاف الصوت ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٧١) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٧٢) ﴿يَلَىٰ هَذَا مَوْجَزٌ مَسْرُودٌ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤) ﴿يَضِيءُ لَنَا جَانِبًا فِي طَبِيعَةِ الْمَلَائِكَةِ وَطَاعَتِهَا الْمَطْلُوقَةُ لِأَوَامِرِ رَبِّهَا ، وَجَانِبًا مُضَادًا مَرْكَوزًا فِي طَبِيعَةِ إِبْلِيسَ وَعَصِيَانِهِ الْمَطْلُوقِ . ومن ثم تعود صيغة المنقول المباشر لتستمر حتى نهاية القصة .

ب - فى سورة الأعراف :

يبدأ الخطاب القصصى بصيغة المسرود بضمير الجماعة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١) ﴿وعن المسرود تنبثق صيغة المنقول المباشر ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ التى تستمر على مدى سبع آيات مع تحول ضمير الجماعة إلى صيغة المتكلم المفرد ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٣) ﴿قَالَ (١٨) هذا التحول ، من ضمير الجماعة إلى المتكلم المفرد ، نلاحظه مع تغير الصوت من المتكلم إلى الغائب . ثم التحول من صيغة المسرود إلى المنقول المباشر ، يتكفل بدور كبير فى تطويع أسلوب القص للموقف المحكى ؛ فعندما كان الحديث عن الخلق والتصوير كان استعمال المسرود مناسبا ؛ فهو حديث عن تكريم المخاطبين ، والخطاب المباشر تكريم لهم ؛ ثم عندما جاء الحديث عن إبليس وعصيانه

ناسب أن يكون ذلك بصيغة المنقول المباشر التي هي كالأولى لكن ينقلها ناقل (وسيط)
ربما إلماحا لعظم الأمر الواقع من إبليس .

ويتحول الخطاب إلى آدم متخذا صيغة المعروض المباشر ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ
الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ تكريما لآدم
فلا وسيط ، إنما نرى نحن ، ونسمع ما كان ، كما كان .

وفى صيغة المسرود يوجز النص لنا ما كان من وسوسة الشيطان لهما ، وهدفه من
ورائها ، ونتيجتها من ظهور السوء ، والخصف من ورق الجنة ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ
لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا
ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ
أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) ﴾ وضمن المسرود
المؤطر لهذا الجزء من القصة يأتي المنقول المباشر وغير المباشر للإخبار بما كان من
إبليس وإغوائه آدم ، ونصحه الزائف ، وحلفه الكاذب ، وكأنه لم يترك سبيلا ممكنا لإغواء
آدم إلا سلكه . ويأتي العتاب والتوبة والأمر بالهبوط إلى الأرض فى الصيغة نفسها ، المنقول
المباشر ؛ فقد ابتعد آدم بذنبه درجة ، فلم يعد الخطاب كما كان بصيغة المسرود .

جـ - فى سورة طه :

تبدأ القصة مع الخطاب المسرود الذى يأتي كمقدمة للحكاية توجز فحواها ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا
إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ ثم مع المنقول المباشر نطلع على ما كان
من طاعة الملائكة وعصيان إبليس ، وتحذير آدم من عداوته ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لَا أَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا أَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) ۞
ومن ثم يعود المسرود ليوجز أحداث : إغواء الشيطان لأدم ، وخطيئته ، وتوبته ۞ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا أَدَمُ هَلْ أُنَبِّئُكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْنَبَا رَبَّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) ۞ ويلاحظ تداخل الصيغتين : المسرود والمنقول المباشر في حدث إغواء الشيطان ؛ ربما لأهمية نص كلام الشيطان ، الذي يعد مدخلا من مداخله إلى بني آدم : الإغواء بالخلد والملك ؛ وفي صيغة المنقول المباشر كذلك يأتي الأمر بالهبوط ، والترغيب في اتباع هدى الله متى جاء ۞ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ۞ .

د - في سورة الإسراء :

مع صيغة المنقول المباشر ، الذي يتداخل معه المسرود ، يبدأ الحكى بضمير الجماعة ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ۞ ومن ثم تستمر صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة ، ويتحول الضمير من الجماعة إلى المفرد مع تحول الصوت من المتكلم إلى الغائب ۞ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِّي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) ۞ .

هـ - فى سورة الحجر :

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المسرود ، بضمير الجماعة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلْقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ (٢٧) ثم تتحول الصيغة إلى المنقول المباشر ، ويتحول الضمير إلى المفرد ، فى خلق آدم وطلب السجود ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢٩) ثم فى صيغة المسرود يوجز الخطاب أحداث طاعة الملائكة ، وعصيان إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٣١) ومن ثم يأتى حوار الله تعالى مع إبليس فى صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة (٣٢ - ٤٤) .

و - فى سورة البقرة :

نبدأ مع صيغة المنقول المباشر ، التى تهيم على القصة كلها بدءا من حوار الله تعالى للملائكة حول خلق آدم ، ثم إعداده للخلافة فى الأرض ، وسجود الملائكة وامتناع إبليس حتى الهبوط إلى الأرض ؛ يتخللها من حين لآخر صيغة المسرود التى تضىء جوانب فى القصة بإيجازها لأحداث كثيرة فى كلمات قليلة ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٤) ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (٣٦) ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣٧) .

- محاولة تجميع :

لننظر الآن فى وظائف قصة آدم عليه السلام الست الرئيسية ، وفى علاقتها ببحث

الصيغة :

١ - الإخبار بخلق آدم :

يأتى تبعا لطبيعة الإخبار معروضا فى صيغة المنقول المباشر ، لينقل لنا المشهد الذى يخبر الله فيه الملائكة بخلق آدم ، فى سور : ص ، والحجر ، والبقرة .

٢ - سجود الملائكة وامتناع إبليس :

تبدأ هذه الوظيفة بالأمر بالسجود ، فى صيغة المنقول المباشر ، فى مكانها من السياق ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ فى سورتي : ص ، والحجر . ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ فى سور : الأعراف ، وطه ، والإسراء ، والبقرة . ويلاحظ أن طلب السجود لآدم فى سورتي : ص ، والحجر ، يأتى مرتبطا بالنفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى ، لأن الإخبار وهنا كان عن خلق بشر من صلصال ، أو من طين ؛ وكان السجود ليس تكريما إلا لذلك الشيء المضاف إلى الطين فى آدم عليه السلام . وبعد الأمر بالسجود تأتى النتيجة مجملة فى صورة الخطاب المسرود الذى يوجز لنا مرحلة فاصلة فى قصة آدم عليه السلام ، ويضئ جوانب مهمة فى بناء شخصيات القصة : آدم وما كان من تكريم الله إياه بأمره الملائكة أن يسجدوا له بعد أن خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ؛ والملائكة ، بطاعتهم وامتثالهم لأمر الله ، وتسليمهم العميق الذى لا يشوبه شائبة تردد . وأخيرا إبليس باستكباره ، وكفره ، وحقده ، وعناده .

٣ - سكنى آدم وزوجه الجنة :

يأتى فى صيغة المنقول المباشر ، حيث نستمع إلى أمر الله تعالى لآدم وزوجه بسكنى الجنة ، والأكل مما فيها من نعم ، ونستمع كذلك إلى نهيه لهما عن الاقتراب من شجرة معينة فيها ، وتحذيره لهما من عدوهما إبليس . نستمع إلى أمرين : (اسكن - كلا) وإلى نهيين : (لا تقربا - لا يخرجكما) ؛ الأمران متلازمان : السكنى والأكل ، والنهيان كذلك متلازمان متبادلان ؛ فالشيطان أخرجهما من الجنة بأن سول لهما الاقتراب من الشجرة المحرمة والأكل منها ، وهذا التبادل يبين نوع التحذير من إبليس العدو ، وأنه لم يكن تحذيرا من أشياء

متعددة ؛ بل كان تحذيرا من شيء واحد معين : من الاستماع إلى إبليس والأكل من الشجرة ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ (٢٢) الأعراف .

٤ - طرد إبليس (من الجنة / من رحمة ربه / من منزلته التي كان فيها) :
رأينا في " ٢ " أن سجود الملائكة وامتناع إبليس يأتي في صيغة الخطاب المنقول المباشر ، حين نرى المشهد معروضا في حوار بين الله وإبليس ، في سور : ص ، والأعراف ، والإسراء ، والحجر . وهذه الوظيفة (طرد إبليس) من أطول وظائف السرد في قصة آدم عليه السلام ، فهي ليست وظيفة أساسية في قصة آدم فحسب ؛ بل هي وظيفة أساسية في قصة الحياة بصفة عامة ؛ فهناك منذ أزمان سحيقة وقف إبليس من ربه موقفا أدى إلى طرده من رحمة الله ، أو من الجنة ؛ فتوعد من كان سببا في طرده ، وتوعد أبناءه من بعده ، وبداخله حقد متجدد ، ناره لا تخمد ؛ فقطع الوعد على نفسه بإغواء ذرية آدم إلا المخلصين منهم ، فلا سلطان له عليهم . وهذه الوظيفة لأهميتها تأتي في صيغة الخطاب المعروض ، التي تنقل الموقف بكافة تفاصيله إلى المتلقى ؛ المشاهد في هذه الحالة .

ونلاحظ اختلافا في طريقة عرض هذه الوظيفة في سورة الإسراء عنها في السور الأخرى ؛ فالحوار يبدأ في السور الثلاث الأخرى ، بسؤال الله إبليس عما منعه من السجود - تبكيئا - أما في الإسراء ، فيبدأ باستنكار إبليس واستكافه أن يسجد لمخلوق من طين ، وتطاوله على ربه منذ البداية : ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِّي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَاحْتَبِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) ۝ لهذا يأتي توعد الله له ههنا مصحوبا بإخباره بكل سبل الغواية التي يستطيع أن ينفذ منها إلى بني آدم ، ويأتي استطراد بصيغة المسرود ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) ۝ فكل ذلك محض هباء باطل .

٥ - الخطيئة والتوبة :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغة الخطاب المسرود ، متبوعة بصيغة ملازمة هى صيغة المنقول المباشر ؛ فى الأعراف ﴿ قَوْسَوْسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ ﴿ ﴿ قَدْ لَاهُمَا يُعْرُورُ قَلَمًا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴿ وفى طه ﴿ قَوْسَوْسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ ﴿ ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ ﴿ وفى البقرة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ﴿ ﴿ فَتَلَقَى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ﴿ هذا التعليق الذى يتكفل به صوت خارجى ، ويأتى فى صيغة الخطاب المسرود ، يتداخل مع صيغة الخطاب المعروض التى تهيمن على القصة ؛ وهذا التداخل يؤدى إلى الإحاطة بجميع جوانب حدث الخطيئة والتوبة .

٦ - الهبوط إلى الأرض :

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴿ الأعراف . ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) ﴿ طه . ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأرِئُنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴿ الحجر . ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) ﴿ البقرة . تأتى هذه الوظيفة فى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتنتهى بآدم وذريته خلفاء فى الأرض وإبليس عدو لهم مبين .

- نوح عليه السلام :

١ - إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغتين متلازمتين ؛ حيث تبدأ بصيغة الخطاب المسرود ، ثم تتحول إلى صيغة المنقول المباشر ؛ فى الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾ تبدأ بخطاب مباشر من الله تعالى ينبثق عنه نقل خطاب نوح إلى قومه ، والصيغة نفسها تأتى فى سور : هود ، ونوح ، والمؤمنون ، والعنكبوت .

٢ - تكذيب قومه له :

ليست هناك صيغة ثابتة لهذه الوظيفة : فمرة تأتى بصيغة المسرود ، كما فى سور : الشعراء ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ ويونس ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَتَجَنَّبَاهُ (٧٣) ﴾ ونوح . وأخرى تأتى بصيغة المعروض (المنقول المباشر) كما فى سور : هود ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ والمؤمنون ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ قُتِرَ بَصُورًا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) ﴾ والأعراف ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) ﴾ .

٣ - الأمر بصناعة الفلك :

فى سورة هود : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ (٣٦) ﴾

(٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَى مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ۞ نبدأ مع صيغة الخطاب المنقول غير المباشر ، وأمر الله إلى نوح بصناعة الفلك ، ثم تنفيذ هذا الأمر ، وما لقي نبي الله في سبيل ذلك من أذى بسخرية قومه منه ، ثم مع المنقول المباشر نستمع إلى رده على قومه في ثقة وطمأنينة . وفي سورة المؤمنون ، تأتي أيضا بصيغة المنقول غير المباشر : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) ۞ .

٤ - الطوفان ، ونجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتي هذه الوظيفة في صيغة : المسرود ؛ في سورة القمر ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) ۞ والأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ۞ والشعراء ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) ۞ وكذلك في سور : يونس ، ونوح ، والعنكبوت - وفي سورة المؤمنون تأتي بصيغة المنقول غير المباشر ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) ۞ وفي سورة هود ، تأتي في صيغة المسرود يتداخل معها المنقول المباشر وتتضاف تعليقات خارجية ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَنَادَى

نُوحُ ابْنُهُ وَكَانَ فِي مَعَزَلٍ يَأْتِيهِ ارْكَبُ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ۞ وكما نرى ، ما تزال صيغة المنقول المباشر تهيمن على الحكى .

- هود عليه السلام :

١ - إرسال هود ، والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغة المنقول المباشر ، بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة الخطاب المسرود ، كما فى سورة الأعراف ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) ۞ وفى سورة هود ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنَّا أَنُحْمَ إِلَّا مُقْتَرُونِ (٥٠) ۞ وأيضا فى سورة الشعراء ؛ وتختلف الصيغة فى سورة الأحقاف ، حيث تبدأ بصيغة المنقول غير المباشر ، التى تحضر لصيغة الدعوة الرئيسية (المنقول المباشر) ۞ وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ۞ .

٢ - تكذيب قومه له ، يأتى بصيغة المنقول المباشر كما فى الأعراف ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَقَاةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ ۞ والشعراء ، وهود ، والأحقاف .

٣ - نجاه المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى هذه الوظيفة بصيغة المسرود فى سورة القمر : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) يَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (٢١) ﴾ والأعراف : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَأْيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾ وكذلك فى الشعراء ، وفى هود : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ ءَاذُ جَحْدُوا يَأْيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ ءَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ حيث توجز أحداث القصة منذ بدء الدعوة إلى يوم القيامة . وفى الأحقاف تأتى بصيغة المعروض غير المباشر : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أُوْدِيَتْهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تَذَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾ حيث يتدخل ذلك الصوت الخارجى بتعليقه على الأحداث ، وإضافة الحكمة منها .

- صالح عليه السلام :

١ - إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة كما فى قصص هود عليه السلام فى صيغة المنقول المباشر ، بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة الخطاب المسرود ، كما فى الأعراف : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴿ وَالشُّعْرَاءُ ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿ وَهُودٌ ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴿ وفى النمل تفتتح بصيغة المنقول غير المباشر : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ ﴿

بإدماج دعوة صالح في سرد حدث الإرسال ، وكان وظيفة الدعوة ليست مقصودة في السياق وإنما مكر القوم وإنكارهم للحق .

٢ - سيرة الدعوة ، وتكذيب قوم صالح :

تسيطر وهنا صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتتخللها أحيانا صيغة المسرود للربط بين الأحداث ، أو لإيجاز أحداث كثيرة لا حاجة للقصة بتفصيلها ، كحدث عقر الناقة الذي يأتي دائما في صيغة المسرود : في القمر ﴿ فَتَأْتُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) ﴾ و الأعراف ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (٧٧) والشعراء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) ﴾ وفي هود ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ (٦٥) فيمر غامضا كالحلم ؛ لتبقى فقط نتيجة هذا الفعل قائمة ؛ فالوقوع في الخطيئة سهل يسير ، أما الخطير فهو تحمل نتيجتها .

٣ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتي بصيغة المسرود كما في سورة القمر : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٢) ﴾ والنمل ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا نَمُرُّهُمْ وَأَنَّا نَمُرُّهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَبِئْسَ بَلَاءُ لِقَوْمٍ ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾ وهود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَانُوا لَمْ يَعْتَوْا فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدَّ (٦٨) ﴾ والأعراف ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْقَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ وكذلك في سورة الشعراء .

- لوط عليه السلام :

١ - سيرة الدعوة ، وتكذيب قوم لوط :

فى سورة الأعراف نجدنا أمام الدعوة مباشرة ، دون التقديم الذى كان يسبق قصص نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب على نحو ما مر بنا ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ ﴾ (٩٥) ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ (٨٥) أما عند لوط ، فتبدأ القصة مع دعوة لوط قومه فى صيغة الخطاب المنقول المباشر : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (٨١) ، وكذلك فى الشعراء ، وهود ؛ فى الشعراء تأتى صيغة المسرود لتقديم القصة التى تستمر بعد ذلك فى صيغة المنقول المباشر : ﴿ كَذَبْتَ قَوْمٌ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٦٠) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١٦١) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ (١٦٧) ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ (١٦٨) ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٩) ، وفى هود تبدأ القصة بمسرد ، يتخلله منقول مباشر : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ (٧٧) ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ، ثم تكتمل الأحداث بصيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (٧٨) قَالُوا .

٢ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى هذه الوظيفة بكاملها بصيغة واحدة ، هى صيغة الخطاب المسرود ، مع اختلاف السياقات ؛ ففي سورة القمر : ﴿ كَذَبْتَ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾ (٣٣) ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِيًا إِلَّا عَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ (٣٤) ﴿ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ (٣٥) ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا

فَتَمَارَوْا بِاللُّذْرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرْ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرْ (٣٩) ۞ وَفِي الْأَعْرَافِ : ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ۞ وَالشَّعْرَاءُ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) ۞ وَهُودٌ ۞ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ۞ وَالْحِجْرُ ۞ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) ۞ وَفِي الْعَنَكِبُوتِ ۞ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) ۞ وَكَانَ ثَمَّ أَمْرًا خَاصًّا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَتَكَفَّلُ بِإِهْلَاكِهِمْ ، وَيَتَكَفَّلُ بِعَرَضِ هَذَا الْإِهْلَاكِ فِي صِيغَةِ الْمَسْرُودِ .

- شعيب عليه السلام :

١ - إرسال شعيب ، والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة كما فى قصص صالح عليه السلام فى صيغة المنقول المباشر ، بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة الخطاب المسرود : ۞ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ۞ الْأَعْرَافِ وَكَذَلِكَ فى الشعراء ، وهود .

٢ - سيرة الدعوة ، وتكذيب قوم شعيب :

تأتى فى صيغة المنقول المباشر ؛ لتعرض علينا ما كان بين الجانبين بكل تفاصيل الدعوة والتكذيب ؛ كما فى الأعراف ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ والشعراء ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ ﴾ .

٣ - نجات المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغة الخطاب المسرود : فى الأعراف ﴿ فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجَّةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ (٩١) ﴾ والشعراء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾ وأيضاً فى سورة هود ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ (٩٤) كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِثْتُ مُؤَدِّ (٩٥) ﴾ .

- موسى عليه السلام :

وقصص موسى على طوله ، وانتشاره فى القرآن الكريم ، يأتى فى صيغة أساسية ، هى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتأتى صيغة المسرود لتتخللها جملة أحداثاً كثيرة ، كما نرى مثلاً فى وظيفة إهلاك فرعون التى تأتى دائماً بصيغة المسرود ؛ ففى الأعراف ﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ وفى طه ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) ﴾ وفى الشعراء ﴿

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُلُّوا مِنْ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) ﴾ وفى القصص ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْلُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) ﴾ وربما أتت هذه الوظيفة بهذه الصيغة للدلالة على أحد أمرين ، أو عليهما معا : الأول - أن تفصيل الأحداث هنا لا جدوى من ورائه ، إنما المهم أن نعرف ما وقع بهذا المستكبر وقومه ، فناسب الاختصار ؛ فكانت صيغة الخطاب المسرود ؛ والثانى - أن هذه الصيغة بإجمالها حدث الإهلاك هكذا ، فإنها تدل على هوان فرعون وقومه وسهولة أخذهم على الله عز وجل .

بعد ذلك تأتى وظائف : الاختيار ، والدعوة ، والاستكبار والتكذيب تبدأ وظيفة الاختيار للرسالة بصيغة الخطاب المعروض غير المباشر الذى يتداخل فيه المسرود بالمنقول المباشر ، وهذا الأخير سرعان ما يفرض هيمنته على الوحدة نجد هذا فى سورة طه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) ﴾ وفى سورة القصص ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَلَّتْ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) ﴾ وهذا التداخل للمسرد والمنقول المباشر ، فى صيغة المعروض غير المباشر ، وهنا يناسب عرض الحالة النفسية التى كان عليها موسى فى ذلك اللقاء الأول بينه وبين ربه .

وتأتى وظيفة الدعوة فى صيغة صريحة هى صيغة الخطاب المنقول المباشر بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة المسرود ، كما نرى فى سورة الأعراف ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) ﴾ وفى سورة القصص ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُقْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ بينما يختلف الأمر قليلا فى سورتي طه ، والشعراء ، حيث تأتى وظيفة الدعوة بالصيغة نفسها ولكنها منبثقة عن الوظيفة السابقة لها (الاختيار للرسالة) فى طه ﴿ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبْهُمْ قَدْ حِثْنَاكَ بِآيَةِ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) ﴾ وفى الشعراء ﴿ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلِيِثْتَ فِينَا مِنْ عُمَرَاكُ سِنِينَ (١٨) ﴾ .

ثم وظيفة الاستكبار والتكذيب ، ويهيمن عليها صيغة المنقول المباشر ، يتخللها المسرود أحيانا ، كما فى الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) ﴾ ... (١٢٧) وفى طه تبدأ بصيغة المسرود التى تجميل ما يرفع العذر عن فرعون ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) ﴾ ... (٧٦) وفى الشعراء ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) ﴾ ... (٥٦) وفى سورة القصص ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ

مِنَ الْكَاذِبِينَ(٣٨)وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ(٣٩) .

- قصة موسى ، والعبد الصالح :

تسيطر على القصة صيغة المنقول المباشر ، تتخللها صيغة الخطاب المسرود لملء الفضاءات : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِزِّنَا وَعِلْمَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا(٦٥) ﴾ وهذه الجزئية مع تلك هي النواة الرئيسية أوالمحور الرئيسى للقصة ؛ فكل ما سيأتى من علم الله ومن رحمته ، والعبد الصالح يقول فى آخرها : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ ذَلِكْ فَأُوَيْلُ مَا لَمْ نَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(٨٢) ﴾ .

- يوسف عليه السلام :

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المسرود : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(٣) ﴾ .

١ - رؤيا يوسف (٤ - ٦) :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤)﴾ قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٥)وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٦) ﴾ تأتى

بصيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتكتمل بصيغة المسرود ، إذا كان الكلام لغير يعقوب عليه السلام (الله تعالى) .

٢ - حسد الإخوة (٧ - ١٨) :

يهيمن هنا الخطاب المنقول المباشر يتخلله المسرود ، الذي تبدأ به الوحدة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ(٧) إِذْ قَالُوا ۖ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ(١٦) ۖ فَبَلَغَهُمُ الْوَحْيُ إِلَى يُوسُفَ كَمَا سَيَأْتِي أُمُّ إِلَى يَعْقُوبَ ، حيث نبا أبناءه بأمر أكل الذئب ليوسف ، وخوفه من ذلك ، فكان السبب الذي اتكأوا عليه هو ما نبأهم به يعقوب من قبل ﴿ فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ ۖ ؟

٣ - يوسف عند عزيز مصر (١٩ - ٢٢) :

تأتي هذه الوحدة بصيغة المسرود لتوجز جانباً من الأحداث ، ويأتي المنقول المباشر متخللاً المسرود لعرض الأقوال المصيرية في حياة يوسف : ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ۖ ﴿ وَكَانَ الَّذِي اسْتَنَادَهُ مِنْ مِصْرَ لَأَمْرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۖ .

٤ - محنة المرأودة (٢٣ - ٣٤) :

نفتتح هذه الوظيفة بصيغة المسرود ﴿ وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ۖ تحضيراً للمنقول المباشر ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) ۖ ثم في صيغة المسرود ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَوَصَّفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۖ لتبدأ صيغة المنقول المباشر

: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَيَأْتِي كَلَامُ الشَّاهِدِ بَعْدَ ذَلِكَ بِصِيغَةِ الْمَنْقُولِ غَيْرِ الْمُبَاشَرِ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢٧) ۖ فَلَمْ يَكُنِ الشَّاهِدُ حَاضِرًا ، وَإِنَّمَا حَكَيْتَ لَهُ الْوَقْعَةَ ؛ فَشَهِدَ بِمَا شَهِدَ . ثُمَّ فِي صِيغَةِ الْمَنْقُولِ الْمُبَاشَرِ : ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (٢٩) ۖ قَدْ يَكُونُ الشَّاهِدُ عِنْدَمَا رَأَى قَالَ ، أَوْ يَكُونُ زَوْجَهَا هُوَ الْقَائِلُ رَدًا عَلَى قَوْلِهَا ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ۖ وَيَسْتَمِرُّ السَّرْدُ بِصِيغَةِ الْمَنْقُولِ الْمُبَاشَرِ حَتَّى نَهَايَةِ الْوَحْدَةِ ، تَتَخَلَّلُهَا وَتَخْتَمُهَا صِيغَةُ الْمَسْرُودِ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٤) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ (٣٥) .

٥ - يوسف في السجن (٣٥ - ٤٩) :

نبدأ مع المسرود الذي يتحول إلى المنقول المباشر : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِثَآوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٦) قَالَ ۖ السَّرْدُ يُوْجِزُ الْأَحْدَاثَ ، وَالْعَرَضُ يَنْقُلُ الْمَشَاهِدَ الْفَاعِلَةَ الَّتِي تَمَثِّلُ الْجَوَانِبَ الرَّئِيسِيَّةَ فِي الْقِصَّةِ : سُؤَالُ الْفَتَيَيْنِ يُوسُفَ تَأْوِيلَ حُلُمَيْهِمَا ، وَدَعْوَةُ يُوسُفَ لَهُمَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَأْوِيلَ حُلُمَيْهِمَا ؛ ثُمَّ تَأْوِيلَ رُؤْيَا الْمَلِكِ وَالتَّبَشِيرُ بِعَامِ الْغَوْثِ .

٦ - براءة يوسف ، والتمكين له (٥٠ - ٥٧) :

تبدأ الوحدة مع الصيغة المهيمنة (المنقول المباشر) بطلب الملك ليوسف ، واعتراف النسوة بعفته ، واستخلاص الملك له ، والتمكين له في الأرض ؛ وتختتم بصيغة الخطاب

المسرود : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَا جَزَ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ۝ .

٧ - قدوم إخوته عليه ، واجتماعه بأخيه (٥٨ - ٨٣) :

نبدأ الوحدة مع السرد تمهيدا لما يلي من أحداث : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُتْكَرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ۝ وَمَنْ تَهَيَّمَن صِيغَةَ المنقول المباشر على الوحدة ، في مشاهد حية نعيشها مع أصحابها .

٨ - تأويل الرؤيا (٨٤ - ١٠١) :

تهيمن ههنا صيغة الخطاب المعروض (المنقول المباشر) يتخللها المسرود ، وتنتهي الوحدة بمعروض مباشر بصوت يوسف عليه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ۝ .

- قارون :

نفتح القصة بصيغة الخطاب المسرود : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ۝ القصص (٧٥) في ومضات سريعة على القصة .

ثم يأتي نصح قومه له في صيغة المنقول المباشر : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا

أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ عَلَى عِلْمٍ عِثْرِي ۖ وَيتحول الخطاب إلى صيغة المسرود ۖ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ وكأنه محض دمية تعرض على الناس ليفتتوا بها . ومن ثم يأتي خطاب المشاهدين في صيغة المنقول المباشر ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) ۖ ثم يأتي الخطاب المسرود ۖ فَخَسَفْنَا بِهِ وَيداره الأرضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) ۖ وتختتم القصة بصيغة المنقول المباشر : ۖ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ۖ .

- سليمان عليه السلام :

نبدأ مع سليمان الأبواب وفتنة الصافنات الجياد في صيغة المسرود ۖ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) ۖ ومن ثم تأتي صيغة المنقول المباشر ومعها صيغة المسرود كذلك ، لعرض أوابيته وحببه الشديد لذكر الله ۖ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) ۖ فهل كان ردها للتخلص منها لأنها شغلته عن ذكر ربه ؟! وهل كانت تلك الجياد فتنة له ، حيث شغلته وقتا عن ربه ؛ فصار بذلك كالجسد لاروح فيه ، يقول تعالى في صيغة المسرود ۖ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَآلَقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ

أَنَابَ(٣٤) ۞ ولذلك يأتي قول سليمان في صيغة المنقول المباشر ، مستغفرا و طالبا ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ؛ لأنه تخلص من الجياد تقربا إلى ربه : ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(٣٥) ۞ .

٢ - ومن ثم تأتي الوحدة الثانية : ملك سليمان في صيغة المسرود : ۞ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ(٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ(٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ(٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ(٤٠) ۞ وفي سبأ كذلك ۞ وَإِسْلِيمَانَ الرَّيحِ غَوَّاهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْنُ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لُنِقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣) ۞ .

٣ - ملك سليمان ، ودوره في الدعوة إلى الله :
نحن هنا أمام مجموعة من المشاهد المعروضة ، يتم الربط بينها بصيغة الخطاب المسرود ، بدءا من تفقد سليمان للطير ، وتوعده الهدهد ، ومرورا بمجيء الهدهد بنبا يقين ، ومن ثم التأكد من صدقه ، وإرساله إلى ملكة سبأ ، وهدية الملكة إلى سليمان ، ثم انتقال عرش الملكة ، وقدمها على سليمان ، وتعرفها على عرشها ، ثم إسلامها ۞ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠) لَأُعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ(٢٢) إِلَيَّ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ(٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ(٢٥) اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتُ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) أَذْهَبَ
 بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّيَ الْفَقِيَّ إِلَيَّ
 كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَآلُونِي
 مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّيَ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون (٣٢) قَالُوا
 نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا
 دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
 فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
 آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتُكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ
 مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّيَ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨)
 (قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْحَظِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) (٣٩) قَالَ
 الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ
 كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ تَكَرُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ
 قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ
 تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ
 سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ۞ النمل ، وهذه الوحدة يمكن أن نطلق عليها " إسلام ملكة
 سبأ " نرى هيمنة الخطاب المعروض ، يتخلله المسرود قليلا ؛ يوجه المعروض ويملا
 الفراغات التي تنتج عنه ۞ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ ... أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ
 الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ فَلَمَّا جَاءَتْ
 قِيلَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ فَلَمَّا رَأَتْهُ
 حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ ۞ إِنَّا هنا نجد اعتمادا كبيرا على أقوال

الأشخاص ، ونجد حذفًا كثيرًا للأحداث ، ربما اكتفاء بالأقوال ، يظهر هذا جليًا في فصل الزمن حيث القفزات الكبيرة التي نراها في سرد القصص ، وههنا نجد محذوفات كثيرة تدل عليها القرائن ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ(٢٨)﴾ قالت يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ(٢٩) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ؟ .

٤ - موت سليمان :

تأتي هذه الوحدة في صيغة الخطاب المسرود الذي يوجز أحداثًا كثيرة : موته ، واتكاؤه على منسأته ، وأكل الأرضة لها ، وخروره ، ولبث الجن مع ذلك في العذاب المهين ، ثم معرفتهم بموته ، وندمهم على لبثهم في العذاب لجهلهم بموته ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ(١٤) ؟ .

- قصة ابني آدم :

نبدأ الوحدة مع المسرود وتقديم القربان : ﴿ وَابْتُلِيَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ؟ ومن ثم تأتي وحدة التهديد بالقتل في صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ لَا قُتْلُكَ قَالَ إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) لَنْ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(٢٩) ؟ ثم تأتي وحدة القتل في صيغة المسرود ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٣٠) ؟ بعد ذلك يأتي بعث الغراب ، والندم في صيغة المسرود تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ

غُرَابًا يَنْحِتُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُؤَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ۞ .

- قصة ذي القرنين :

تبدأ القصة بصيغة المسرود ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣)
(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ
الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ
تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) ۞ الكهف . تتخللها صيغة المنقول المباشر ۞ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ
فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ
الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ۞ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي
فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَمْيًا (٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ
بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا
أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ۞ .

- عيسى ابن مريم :

١- ميلاد مريم (مريم فى كفالة زكريا) :

تهيمن ههنا صيغة المنقول المباشر ۞ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٣٦) ۞ وتستمر هيمنة العرض على الوحدة ، يتخلله المسرود .

٢ - ميلاد المسيح :

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود ۞ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا(١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(١٧) ۞ ومن ثم يتحول الخطاب إلى صيغة المنقول المباشر ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا(١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا(١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا(٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا(٢١) ۞ ثم مسرود ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا(٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ۞ وتختتم الوحدة بالمنقول المباشر ۞ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا(٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(٢٤) وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا(٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبَرِ أَعْدَا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا(٢٦) ۞ .

وفى آل عمران تأتي الوحدة كلها بصيغة المنقول المباشر ۞ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَحِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ(٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَ وَالْإِنجِيلَ(٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ

نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْحِحِينَ (٢١) ۞ ثم تأتي صيغة المنقول المباشر ، يتخللها المسرود ۞ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين (٢٢) فأنطلقوا وهم يتخافتون (٢٣) أن لا يدخلوها اليوم علىكم ميكن (٢٤) وغدوا على حرث قادرين (٢٥) فلما رأوها قالوا إنا لضالون (٢٦) بل نحن محرومون (٢٧) قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون (٢٨) قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين (٢٩) فأقبل بعضهم على بعض يتلومون (٣٠) قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين (٣١) عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون (٣٢) ۞ وتختتم القصة بالمسرود الذي ابتدأت به ۞ كذلك العذاب والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٣٣) ۞ .

- قصة أصحاب الكهف :

تبدأ القصة بالمسرود ۞ أم حسيت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ۞ يتخللها المنقول المباشر ۞ فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا ۞ (١٦) وبعد ذلك يسير الخطاب بصيغة المسرود ۞ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (١٧) وتحسبهم أيقاظا وهم رقود وثقلهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا (١٨) وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ۞ ثم يتحول إلى المنقول المباشر

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا (٢٠) ﴾

ثم يعود المسرود من جديد ﴿ وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ ثم المنقول المباشر ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُتُبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتُبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتُبُهُمْ ﴾ وتختتم بصيغة المسرود ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلْيَتُوبَا فِي كُفْرِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمَا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ .

نلاحظ سيطرة المسرود على القصة يتخلله المنقول المباشر ؛ وبذلك يظهر القائل وأفعاله (تدخلاته) في سير القصة ، وكذلك تفرده بعلم تفاصيلها .

— قصة صاحب الجنتين :

نبدأ مع المسرود ، وخطاب الحق تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَقَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ثم بصيغة المنقول المباشر نستمع إلى الحوار بين الصاحبين ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِثْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾ - (٤١) يتخلله - للمرة الأولى - صيغة الخطاب

المعروض الذاتى ، حيث يتحدث صاحب الجنتين إلى نفسه ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) ﴾ وتختتم القصة بصيغة المسرود ﴿ وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) ﴾ .

خصائص الصيغة السردية فى القرآن الكريم :

دراستنا للصيغة السردية ، تنتج عنها بعض الملاحظات : تتجلى فى القصص القرآنى من صيغ الخطاب : صيغة المنقول المباشر ، التى تهيمن على الحكى ، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد ، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة فى القصص ؛ ففى قصص آدم عليه السلام ، تأتى الوحدة السردية الأولى ، وهى إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم - دائما - فى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، التى تحمل إلينا حوار الله والملائكة فى هذا الشأن ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ ودائما يأتى الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب ، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ فى سور : ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة (٣٠) . يلى هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التى تأتى بالصيغة نفسها ، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة ، ودائما بالصيغة الواحدة التى لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ فى سور : طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة بالصيغة ذاتها ، لتعرض لطاعة الملائكة ، واستكبار إبليس ، وامتناعه عن السجود ، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله ، الذى يأتى فى صيغة

المنقول المباشر ؛ لأهميته الشديدة ، لا فى قصة آدم فحسب ، وإنما ، كما قلنا من قبل ، فى قصة الحياة بصفة عامة .

وفى قصص الأنبياء ، نجد دائما وظيفتى الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة (المنقول المباشر) بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المسرود . ففى الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ ﴾ وإلى عادِ أخاهم هودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ ﴾ (٦٥) ﴿ وإلى ثمودَ أخاهم صالحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ ﴾ (٧٣) ﴿ وإلى مدينَ أخاهم شعيبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة ، والدعوة أيضا واحدة . وهذا أيضا ما نجده فى سورة هود ، وفى سورة الشعراء ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) ۖ ﴾ ﴿ كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) ۖ ﴾ ﴿ كَذَبَتْ ثمودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) ۖ ﴾ ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطِ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) ۖ ﴾ ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) ۖ ﴾ هذا الاتحاد فى الصيغة الكلية للدعوة ، بل فى كلمات الدعوة ، يجعلنا وكأننا أمام نبي واحد ، ورسالة واحدة ؛ وإنما كذلك ؛ وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ۖ البقرة - يتردد ما دامت السماوات والأرض ، وما زال الهدى يأتى من الله ، فمن تبعه نجا وسلم .

٣ - الرؤية السردية

فى تعريفنا للسرد ، قلنا : إنه الطريقة التى تُروى بها قصة ما ، وهذه الطريقة فى الرواية يمكن أن تأخذ أشكالاً متعددة لا حصر لها ، تبعاً لموقع الراوى من الأحداث ، أو لعلاقته بها ، أو بالمرؤى له ؛ وذلك لأن كل عمل حكاى يستلزم بالضرورة ثلاثة عناصر أساسية ، هى : الراوى ، والمرؤى له ، والمرؤى . وموضوع الرؤية السردية يقوم أساساً على وضع الراوى فى الحكى ؛ على موقعه الذى يتخذه حيال ما يحكى ، وموقفه من هذا المحكى .

منذ أفلاطون وتفريقه بين طريقتى نقل الكلام (الحكاية الخالصة والمحاكاة) ومن بعده أرسطو - الذى أثنى على هوميروس ، ورأى فيه شاعراً فحلاً ؛ لأنه جعل محاكياته فى شعره ذات طابع درامى ، لا يتدخل الشاعر فى أحداثها إلا قليلاً تاركاً العرض للشخصيات ؛ فتأتى الوقائع حية (١) - بدأت الدعوة إلى مسرحة الحدث لا سرده .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، تعود الدعوة إلى مسرحة الحدث للظهور من جديد ، على يد الروائى هنرى جيمس ، فى محاولة للتجديد بمخالفة العرف الروائى السائد ، الذى يعتمد على الراوى كلى المعرفة (٢) . ويسير بيرسى لوبوك على نهجه فى كتابه " صنعة الرواية " الذى يفتح به باب دراسة الرؤية السردية بتمييزه - الذى سبقت الإشارة إليه - بين العرض Showing و الإخبار Telling حيث فى الأولى تقوم القصة بحكاية نفسها بنفسها ، وفى الثانية يقوم بالإخبار راو عالم بكل شىء . وينحاز لوبوك إلى جانب الراوى الممسرح ، المدمج فى القصة .

(١) انظر : محمد غنيمى هلال ، النقد الأدبى الحديث ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص: ٥٠

(٢) انظر روجر هينكل ، قراءة الرواية ، ترجمة صلاح رزق ، القاهرة ، ط ١ ١٩٩٥ ، ص: ٢١١

وعند " توماتشفسكى " نجد التمييز بين النمطين السريين : السرد الموضوعى ،
والسرد الذاتى ؛ حيث فى الأولى يكون الكاتب مطلعاً على كل شىء ، حتى الأفكار السرية
للشخصيات ، أما فى السرد الذاتى فإننا نتتبع الحكى من خلال عيني الراوى ، متوفرين على
تفسير لكل خبر : متى وكيف عرفه الراوى أو المستمع نفسه (٣) .

بعد ذلك يأتى Jean Pouillon ليقدم أول دراسة منهجية بهذا الصدد ، فى كتابه المهم
" الزمن والرواية " ١٩٤٦ الذى يحدد فيه ثلاثة أنماط من الرؤية : الرؤية مع ، والرؤية
من الخلف ، والرؤية من الخارج (٤) ، منطلقاً فى ذلك من علم النفس وثيق العلاقة بالرواية
؛ إذ يُعنى كلاهما بكشف النفس البشرية فى حالاتها المختلفة .

ويتبنى Todorov تصنيف بويون للرؤيات ويسمىها " مظاهر السرد " فيضعها
إلى جانب زمن السرد ، وأنماطه معتبرا إياها أصول تحليل الخطاب السردى . و يهتم
بتوضيح معنى كلمة مظهر Aspect وأنه يستعملها بمعنى قريب من معناها الاشتقاقى
وهو " الرؤية " أو " النظرة " وبكيفية أكثر تحديداً يقول : إن المظهر يعكس العلاقة بين
ضمير الغائب (هو) فى القصة ، وبين ضمير المتكلم (أنا) فى الخطاب ؛ أى العلاقة بين
الشخصية الروائية وبين السارد . ويستخدم Todorov عبارة " مظاهر السرد " ليحيل
بها على مختلف أنواع الإدراكات التى يمكن التعرف عليها داخل السرد ؛ فنحن عندما نقرأ
عملاً أدبياً ، لا نتلقى الأحداث التى يصفها تلقياً مباشراً ؛ لأننا فى الوقت ذاته ندرك - بشكل

(٣) الشكلاونيون الروس : نظرية المنهج الشكلى . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط ١ ١٩٨٢ ،
ص : ٨٢

(٤) Jean Pouillon, Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993, P. 66 – 105

أو بآخر - الآثار الوجدانية المصاحبة لها لدى الذى يحكيها (٥) ؛ وهذا الإدراك الداخلى يتخذ أشكالا ثلاثة ، هى التى اقترحها Jean Pouillon تصنيفا لمظاهر السرد :

أ - السارد < الشخصية الروائية (الرؤية من الخلف : La vision par derrière)
وفى هذه الحالة يكون السارد أكثر معرفة من الشخصية الروائية ، وهو لا يعنى بأن يشرح لنا كيفية اكتسابه هذه المعرفة ، فليس ثم ستار يحجب عنه سر شيء : فهو يخترق الجدران ، ويرى ما يدور برأس بطله ... وهذا الشكل هو المستعمل فى السرد الكلاسيكى فى أغلب الأحوال . ولهذا الشكل درجات متفاوتة ؛ فقد يتجلى تفوق السارد فى المعرفة بالرغبات السرية (المجهولة) لإحدى شخصياته ، وربما يتجلى فى معرفة أفكار عدة شخصيات فى وقت واحد - وهذا ما لا يستطيعه أى منها - أو ربما يتجلى ببساطة فى سرد أحداث لا تدركها شخصية واحدة بمفردها .

ب - السارد = الشخصية الروائية (الرؤية مع : La vision avec) وهذا الشكل منتشر فى الأدب ، وبخاصة الأدب الحديث ، وفيه يتساوى السارد والشخصية الروائية فى المعرفة ؛ فهو لا يستطيع أن يقدم لنا تفسيراً للأحداث قبل أن تتوصل إليه الشخصية ، وهنا أيضا يمكننا الكشف عن كثير من التمييزات ، كأن يتم السرد بضمير المتكلم ، أو بضمير الغائب مع الاحتفاظ دائما بالرؤية التى تكونها الشخصية نفسها عن الأحداث .

ج - السارد > الشخصية الروائية (الرؤية من الخارج : La vision du dehors)
والراوى هنا يعرف أقل مما تعرف أى من شخصيات الرواية ، إنه يستطيع أن يصف لنا ما يمكن أن يرى ، أو أن يسمع ، لكنه لا ينفذ إلى أى ضمير كان . وبدهى أن هذه النزعة

(٥) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, Communications n° 8, éd . du Seuil, coll. Points, 1981, P. 147

الحسية الخالصة موجودة كمظهر من مظاهر الكتابة ، وهى أقل بكثير من المظهرين الآخرين ، والاستعمال المنظم لهذا المظهر لم يتم إلا فى القرن العشرين .

أما Genette فهو يتحدث عن المنظور ضمن الصيغة السردية ، وكأنه ليس مظهرا مستقلا من مظاهر السرد ، كما رأينا عند Todorov مثلا ، بل يتحدث عنه إلى جانب المسافة باعتبارهما الشكليين الأساسيين للصيغة ، مما أوقعه فى بعض المآخذ ^(٦) ؛ ومع ذلك فقد قدم لنا مشروعا جديدا لدراسة المنظور . حيث بدأ بقراءة كتابات السابقين حول ما يسمى ، على سبيل الاستعارة ، منظور سردي . فرأى أن معظم الأعمال النظرية التى تتناول هذا الموضوع تعاني - كما يقول - من خلط شديد بين الصيغة والصوت ؛ أى بين السؤال : من الشخصية التى توجه " وجهة نظرها " المنظور السردى ؟ أى من يرى ؟ والسؤال : من يتكلم ؟ ومن ثم يتبنى مصطلح " تبئير : Focalisation " حيث يرى أنه أكثر تجريدا ، وبذلك يتحاشى المضمون البصرى ، شديد الخصوصية ، الذى تتطوى عليه المصطلحات الأخرى مثل : رؤية ، وحقل ، ووجهة نظر ^(٧) .

وهكذا يطلق على النمط الأول - الذى تمثله الحكاية الكلاسيكية - اسما جديدا هو الحكاية غير المبارة non-focalisé أو ذات التبئير الصفر focalisation zéro . والنمط الثانى الحكاية ذات التبئير الداخلى interne سواء أكان ثابتا - كما فى رواية السفراء ؛ حيث يمر كل شيء من خلال ستريندر - أم متغيرا كما فى رواية " مدام بوفارى " حيث يتم التبئير من خلال شارل ، ثم إمّا ، وبعدها شارل من جديد ... أم متعددة كما فى الروايات التراسلية (Les romans par lettres) حيث يمكن للحدث الواحد أن يقدم مرات كثيرة ،

(٦) ربما كان اعتماده على قاموس Littré حيث يحدد المعنى النحوى لمادة mode بأنه " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة ... وللتعبير عن وجهات النظر المتغايرة " هو الذى قاده إلى ما ذهب إليه ، إذ إن تعريف الصيغة فيه ، كما نرى ، يضم أشكال الفعل ، ووجهات النظر ؛ فتحدث عن المظهرين معا ، جامعا بينهما فى مبحث واحد .

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972, P. 203

من خلال وجهة نظر عدة شخصيات متراسلة . وأخيرا النمط الثالث ، هو الحكاية ذات التبئير الخارجى externe التى يتصرف فيها البطل أمامنا دون أن يسمح لنا بمعرفة أفكاره أو عواطفه ^(٨) .

وتستمر دراسة الرؤية السردية ، فى هذا الفلك ، متراوحة بين تصور Pouillon وتصور Genette ^(٩) أو بين الرؤيات والتبئير .

ونحن من جانبنا نحاول - مستضيئين بـ Genette وحديثه حول التبئير ، وبشكل أساسى بـ Jean Pouillon وتصنيفه للرؤية السردية ، الذى تبناه Todorov وحاول تطبيقه على رواية العلاقات الخطيرة Les liaisons dangereuses لـ "لاكلو" - نحاول وضع تصور يتناسب مع القصة القرآنية ، فى وضعها القداسى .

ولعل الحديث عن الرؤية يعيدنا إلى ما رأينا من تعدد الصيغ للحكاية الواحدة ؛ تبعا لاختلاف السياق الذى وردت فيه ؛ ففي قصص آدم عليه السلام ، هناك قصة واحدة ، غير أنها تأخذ فى كل مرة شكلا جديدا يجعلها تبدو حكاية جديدة ، وإن اتفقت أحداثها وشخصياتها ؛ والسبب هو اختلاف السياق ، الذى يغير موقع الرؤية ؛ فمن موقع التركيز على قضية الخلافة ؛ لأن القصة معروضة فى سياق يجعل من الإنسان سيد الأرض ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ البقرة (٢٩) فليتصرف فيها كيف شاء بما لا يحيد به عن طريق هدى الله ؛ ومن هذا الموقع الذى يمثله السياق تُرى القصة من هذه الناحية ، ناحية الاستخلاف .

(٨) Ibid. P. 206 - 207

(٩) ممن سنلتقى بهم بعد Genette : Mieke Bal فى مقالها : Narration et focalisation المنشور فى العدد التاسع والعشرين من مجلة Poétique ١٩٧٧ (١٠٧ - ١٢٧) والذى تقدم فيه قراءة لتصور Genette السابق ، ومقال آخر بعنوان Le jeu de la focalisation لـ Pierre Vitoux نشر بالمجلة نفسها تعليقا على مقال Mieke Ba السابق ، وهذا تماما ما فعله كل من : شلوميت كنعان فى كتابها التخيل القصصى ، ترجمة لحسن أحمامة ١٩٩٥ و Vincent Jouve فى كتابه La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.

ومن موقع ثان ، ثرى القصة هى قصة العداوة بين إبليس وأدم ؛ للتركيز على إبراز هذا الجانب ؛ فهى معروضة فى سياق الموقف من هدى الله - فى سورة الأعراف - : حيث تتوالى رسل الله حاملة للناس الهدى ؛ لكنهم يأنفون ، ويتعقبون خطى الشيطان ، مؤثرين اتباعه - وهو عدوهم الأول - على اتباع الهدى .

ومن موقع ثالث ، يتم التركيز على الفوارق بين طبائع كل من الإنسان والجان : الأول مخلوق من طين ، وفيه نفخة من روح الله ، والثانى مخلوق من النار

وهكذا يستمر تأثير السياق فى القصة التى يستحضرها ، على نحو ما رأينا فى فصل " القصة والسرد " وهذا السياق ، فيما نحن بصددده ، يمثل زاوية نرى منها جزءا من القصة يتم التركيز عليه ، ويتغير هذا الجزء بتغير زاوية الرؤية ، التى يمثلها السياق . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الموقع ، يتحدد بالضمير الذى تقدم القصة من خلاله ؛ هل هو متكلم : حاضر فيها ، أو غائب عنها (١٠) .

ومن خلال استقراء أشكال الرؤية فى القصص القرآنى ؛ أمكننا ملاحظة نمطين أساسيين للرؤية فى القصة القرآنية :

(١٠) وهذا بدوره يضعنا أمام قضية الالتفات فى العربية ، وشرطه أن يكون الضمير فى المنتقل إليه عائدا فى الأمر نفسه إلى الملتفت عنه ، ومعلوم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات ، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدهما إلى الآخر ، بعد التعبير بالأول . راجع : كتاب الصناعات لأبى هلال العسكري ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ومحمد أبى الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص: ٣٩٢ . والمثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص: ١٦٧ ومابعدا . ومنهاج البلاغة وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجنى ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، ط ٢ ١٩٨١ ، ص: ٢٠٠ ، ٣٤٨ . والبرهان فى علوم القرآن ، للزركشى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٧ ، ج ٣ / ٣١٤ ومابعدا . و البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد عبد المطلب ، لونجمان ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص: ٣٩٢

أولهما - نطلق عليه الرؤية الذاتية (١١) ، بمعنى أن يكون الضمير الذى يتكفل بحكى
القصة حاضرا فيها (ضمير الجماعة الدال على العظمة) كما فى قصص آدم عليه السلام
من سورة الأعراف ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ (١١) وفى قصص سليمان من سورة
ص ﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ (٣٠) .

والآخر - نطلق عليه الرؤية المحايدة ، وفيه تقوم القصة بحكى نفسها ، عن طريق الحوار
بين شخصيات السرد . وتبدأ بفعل القول (قال) بضمير الغائب ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَايِكَةِ ﴾
(٣٠) البقرة ، والحجر (٢٨) ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ ﴾ (٤٢) آل عمران ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَتَّاهُ ﴾ (٦٠) الكهف .

وأمكننا كذلك ملاحظة نمطين فرعيين ، يأتیان تنويعا على النمطين السابقين :

الأول - هو الرؤية الذاتية المحايدة ، وتكون مسبقة بفعل القول ملحقا بنا الفاعلين ﴿ وَإِذْ
قُلْنَا لِلْمَلَايِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (٣٤) البقرة ، والإسراء (٦١) والكهف (٥٠) وطه (١١٦) ﴿
قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (٣٨) البقرة ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ﴾
(٤٠) هود ﴿ قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نُعْذِّبَ إِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ (٨٦) الكهف ﴿ قُلْنَا
لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ (٦٨) طه ؛ إذ يبدو فيها المتكلم على مسافة مما ينقل من أقوال .

والآخر - الرؤية المحايدة الذاتية ، وتأتى مع نقل محتوى القول ، وذلك غالبا ما يسبق بما
فى معنى فعل القول ، كما فى قصص موسى عليه السلام من سورة الأعراف ﴿ وَأَوْحَيْنَا
إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (١١٧) ومن سورة القصص

(١١) استعملنا كلمة (الذاتية) هنا لایمعنى (الاتطباعية) وإنما بمعنى حضور الضمير الفاعل فى الحكى .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْتَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ وفى قصة يوسف ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ .

ومن ناحية أخرى ؛ فإذا كان المتكلم حاضرا فى القصة ، فهى تُروى من الداخل بمنظور داخلى ، وإذا لم يكن حاضرا فيها ، وقامت بينه وبينها مسافة ، فهى تُروى من الخارج ، والمنظور هنا يحتمل الوجهين معا ؛ فهو خارجى إذا ظلت المسافة قائمة بين المتكلم وما يحكى ، أو أنه داخلى إذا قامت بالحكى شخصيات السرد .

- قصص آدم عليه السلام :

١ - فى سورة ص :

تهيمن على الحكى هنا الرؤية المحايدة ، حيث ينقل المولى عز وجل قصة اختصام الملائكة الأعلى ، إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام إثباتا للوحى ، الذى لولاه ما علم محمد من أمرها شيئا ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَذَابِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غُوبِيَهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)

(۴) ونلاحظ هنا استخدام ضمير الغائب ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ ۚ ﴾ مع أن الله تعالى يخاطب نبيه خطابا مباشرا ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ۚ وهذا الاستخدام لضمير الغائب نجده دائما مع قصة الخلق الأول ، كما في سورة الحجر ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٢٨) ۚ وسورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) ۚ وكأنه سبحانه وتعالى يشير في هذه الأماكن إلى أن محمدا ذو مكانة خاصة ، من خلال إضافة رب إلى كاف الخطاب في (ربك) ؛ فانه سيخلق بشرا من طين ، أو من صلصال من حمإ مسنون ، قد يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، لكن لمحمد في كل ذلك مكان خاص ، هو مربوب الخالق سبحانه ؛ ومن خلال تلك الرؤية المحايدة يتم نقل أصوات شخصيات السرد ، في حيادية تمنح الثقة في مصداقية الوحي ، بخاصة وأنها نزلت على كفار مكة ، إثباتا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومع الرؤية المحايدة ، كما نرى ، يكون الموقع الذي تُحكى منه القصة موقعا خارجيا ، ولكن الصوت الذي تُعرض الأحداث من خلاله ، هو صوت شخصيات الحكى ، فالمنظور السردى داخلى ، هو منظور الشخصيات ؛ ومن ثم يجتمع الموقع الخارجى ، والمنظور الداخلى لتتكشف الأحداث من الخارج ، ومن الداخل .

٢ - فى سورة الأعراف :

ههنا نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، حيث تعرض الذات الإلهية لما كان من أحداث الخلق والتصوير ، ثم سجود الملائكة لآدم ، طاعة لأمر ربهم ، وامتناع إبليس عن ذلك استكبارا ، ويتم الحكى بضمير العظمة : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴿ ودائما يأتي الأمر بالسجود لآدم محكياً بالضمير نفسه ، الجمع الدال على العظمة المستحقة لله تعالى ، نرى هذا فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴿ وفى سورة الإسراء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴿ وفى سورة الكهف ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿ (٥٠) وفى سورة طه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) ﴿ وهى كل المواضع فى القرآن الكريم ، فيها يأمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم ، وهو أمر عظيم ، يحتاج إلى أن يقرن بما يدل على عظمته سبحانه ، فكان ضمير الجماعة . وهنا نرى الاتصال المباشر للضمير بالفعل ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ ﴿ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾ مؤشرا على ذاتية الرؤية ؛ وجوانية المنظور والموقع .

ومن ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة ، مع نقل نص الحوار بين الشخصيات فى القصة ، التى تسهم فى إضاءة جانب مهم فى القصة ، هو جانب العداوة بين إبليس وآدم ، وتسهم أيضا فى الكشف عن جوانب فى شخصية إبليس : الاستكبار ، والعصيان ، وفى شخصية آدم : الضعف ، وقلة العزيمة : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنُظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أُغْوِيْنَتِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُ مِنْهُمْ مِثْرًا لَكَ مِنْ خَلْقِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ

الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴿

ثم تعود الرؤية الذاتية مرة أخرى ؛ توطر الحكى ، وتركز من جديد على عداوة إبليس لأدم وذريته : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾

٣ - فى سورة طه :

يتم الحكى هنا من خلال الرؤية الذاتية ، وضمير الجماعة الذى يعرض ما كان من نسيان آدم عهد الله إليه ، بمخالفة إبليس : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ وبالضمير نفسه نتحول إلى الرؤية الذاتية المحايدة ؛ حيث يقوم المولى عز وجل بنقل خطابه للملائكة ، ثم لأدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾

ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة ، مع الانتقال من التكلم إلى الغيبة ، إشعارا بخصوصية العلاقة بين آدم وربّه - على نحو ما مر مع محمد عليه الصلاة والسلام - وعرضاً لتجدد

العداوة الدائم ، بين آدم وإبليس : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَقِي (١٢٣) ﴾ .

٤ - فى سورة الإسراء :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية المحايدة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ ومن ثم تأخذ الرؤية فى التحول من الذاتية المحايدة إلى المحايدة ، مع الخطاب المنقول المباشر : وحوار شخصيات القص ، الذى يلقى الضوء على مشاعر الشيطان تجاه ذرية آدم ، وسبيله لإطفاء مشاعر الحقد المتقدة فى صدره : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُحْزِنْتُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) ﴾ وفى الآية الأخيرة نجد قوله تعالى ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ الذى لا يتعارض مع ما قلناه من قبل عن قرب المربوب من ربه ، ويشير الألوسى إلى هذا بقوله " والقلب يميل إلى عدم كونه خطابا للشيطان وإن كان فى السابق له " (١٢) .

- فى سورة الحجر :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، وضمير العظمة الذى يناسب السياق ، حيث الإخبار عن الخلق ، الذى لا يقدر عليه غير القادر سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ وتبدأ من ثم أصوات

(١٢) روح المعانى ، دار الفكر : ١١٣/١٥

الشخصيات في الظهور ، منظمة من خلال الرؤية المحايدة ، تركيزا على سبب رفض إبليس السجود لأدم ، وعداوته له ، غير أنه لاسلطان له إلا على الصالين الغاوين ، أما عباد الله المخلصين ، فهم بمنأى عن غوايته ، وفي حفظ الله وكنفه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ يَمَا أَغْوَيْتَنِي لأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) ﴾ .

ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكى ، وتؤكد على عظم جزاء أعداء الشيطان - عباد الله المخلصين : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَتَزَعَّتْ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾ .

- في سورة البقرة :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل حوار الله والملائكة ، الذى يتم التركيز فيه على الخليفة المنتظر للأرض ، وإعداده من قبل الخالق عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنَقْدَسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُونِي يَأَسْمَاءُ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴿

ثم تحل الرؤية الذاتية المحايدة محل الرؤية المحايدة ، مع الأمر بالسجود ، والهبوط إلى الأرض : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَازْلَهَمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ تتخللها الرؤية المحايدة في لمحة سريعة ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ تلقى الضوء على علاقة القرب بين آدم وربه . وهنا نجد المنظور السردى خارجيا ذا عمق داخلي ، حيث إن الحكى يتم من مسافة يرجحها وجود فعل القول ، والذي ينقل القول هو قائله سبحانه وتعالى .

- قصص نوح عليه السلام :

١ - فى سورة القمر :

من خلال الرؤية الذاتية يتم سرد القصة ، تركيزا على إظهار العذاب الذي وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) قَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَعْلُوبٌ فَإِنتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُوسِرَ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) ﴾ ونحن هنا أمام انتصار القدرة المطلقة للحق الذي جاء به نوح ، وكذب به قومه حتى النهاية ؛ وإنما مع بدايات الدعوة المحمدية ، ومن ثم مع التحذير من الإسراع بتكذيب صاحب الدعوة .

٢ - في سورة الأعراف :

مع الرؤية الذاتية نفتتح الحكى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ ومن ثم نتحول عنها إلى الرؤية المحايدة ، حيث نستمع إلى أصوات الشخصيات فى حوارهم ، فتعرض وظيفة الدعوة من منظور داخلى تتقابل فيه المشاعر والأفكار ، بين نوح الذى يؤدى ما أرسل به هدى من ربه ، إلى قومه الذين تحجرت عقولهم وقلوبهم أن يؤمنوا بما جاءهم به نبيهم ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أَبْلُغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) ﴾ .

ثم نختم الحكى مرة أخرى مع الرؤية الذاتية التى توطر الحكاية ، بداية ونهاية ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ تلك الرؤية التى يوجهها ضمير العظمة ، الذى يتكفل دائما بأفعال القدرة المتصرفة .

٣ - فى سورة الشعراء :

نففتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، وأصوات شخصيات السرد ، التى يُعرض من خلالها تكذيب قوم نوح واستكبارهم ، مع حرصه الشديد على إيمانهم برسالته ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) ﴾ .

ومن ثم تختم القصة مع الرؤية الذاتية ، التى تتكفل دائما بالأحداث العظيمة ، كحدث الإهلاك والنجاة هنا ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) ﴾ .

٤ - فى سورة يونس :

منذ البداية ، وحتى نهاية الحكى ، نحن مع الرؤية الذاتية ، وقصة نبي من أنبياء الله ، عليهم السلام ، وما كان من قومه تجاهه ، والرؤية الذاتية هنا لأمر عظيم كذلك ؛ فالأمر إلى محمد عليه الصلاة والسلام أن يخبر قومه ، الشاكين فى القرآن ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٢) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ (٣٨) - أن يخبرهم خبر نوح مع قومه ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ

أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَقَوْمِ مُحَمَّدٍ ، كلاهما مكذب بالندير ومستعجل للعذاب ، ولكن أمر الإنذار جد ، وعاقبة المنذرين المكذبين رهيبة .

٥ - فى سورة هود :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، وبضمير العظمة يقص الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام حكاية نوح مع قومه ، وتفصيل دعوته لهم ، ورفقه بهم ؛ لعلهم يهتدون : ۞ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين (٢٥) أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم اليم (٢٦) ۞ ثم يعود إلى محمد عليه الصلاة والسلام مرة أخرى ، ثم يتم عليه بقية الحكاية : اليأس من إيمان القوم ، وصنع الفلك ، وانتظار أمر الله ۞ أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون (٣٥) وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (٣٦) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٣٧) (٤٨) ۞ .

- نجد فى بداية السورة : ۞ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢) ۞ - ونجد فى ختامها : ۞ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (١٢٠) ۞ ومن هنا فقد جاء قصص السورة تثبيتا لفؤاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لنلا يسرع الضيق ، من عدم إيمان قومه به ، وبرسالته ، إلى صدره ؛ فهكذا كان حال الأنبياء من قبل مع أقوامهم . وإن قوم محمد ، كقوم نوح ، فى المسارعة إلى إيذاء نبيهم ؛ وإن الصبر عليهم لهو سبيل النصر .

٦ - فى سورة نوح :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تتحول إلى رؤية محايدة مع نقل خطاب الشخصية الموجودة فى القصة ، نوح ، وما كان بينه وبين قومه بكل تفاصيل الدعوة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْفِقُوا وَأَطِيعُوا أَمْرًا (٣) يَخْفَى لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ وَيُخَرِّكُمُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) (٢٨) إنها عرض لموقف قوم نوح من نبيهم ودعوته ، وهى تحذير لأمة محمد ان يكونوا مثل قوم نوح فيأخذهم عذاب عظيم .

- قصص هود عليه السلام :

١ - فى سورة القمر :

يتم الحكى من خلال الرؤية الذاتية ، تركيزا على العذاب الذى حاق بمن كذبوا دعوة هود عليه السلام ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِي وَلَذَرُ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) نَزَغَ النَّاسَ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنُوعَةٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِي وَلَذَرُ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٢٢) ﴾ .

٢ - فى سورة الأعراف :

من خلال الرؤية المحايدة حيث يتم نقل أصوات شخصيات السرد ، يتم حكى القصة بكاملها ، وتؤطرها الرؤية الذاتية ، بداية ونهاية ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ وهو الصوت

الذى تصدر قصص سورة الأعراف ، بدءاً بنبي الله نوح عليه السلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ (٥٩) ﴾ وبعد ذلك تتولى أصوات الشخصيات عرض الأحداث ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) ﴾ ... وتأتى النهاية مع الرؤية الذاتية ، التى تنفرد دائماً بوظيفة النجاة ، والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾ .

٤ - فى سورة الشعراء :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، وعرض تفاصيل الدعوة ، من خلال الشخصيات ، مع التركيز على إظهار حرص الرسول على هداية قومه ، متقرباً إليهم بكل ما يمكن أن يلين قلوبهم ﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتُنَبِّئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تُعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَخْذِلُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) ﴾ بينما هم قساة غلاظ ، لا تتأثر قلوبهم ، ولا تلين ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) ﴾ ومن ثم كانت النتيجة ، المعروضة من خلال الرؤية الذاتية ؛ الإهلاك والنجاة ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ .

٥ - فى سورة هود :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، واستئناف عرض قصص الأنبياء مع أقوامهم ، على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ ومن ثم تعوضها الرؤية المحايدة طوال القصة ، لتعرض الأحداث من الداخل بأصوات الشخصيات ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنَّا نَتَّبِعُكُمْ إِلَّا مُقَرَّبُونَ (٥٠) يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّا نَجْزِيهِ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) (٥٧) ﴾ ومن ثم تعود الرؤية الذاتية توطر الحكى ، وتشير إلى وقوع العذاب بقوم هود ، دون النص عليه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾ .

٦ - فى سورة الأحقاف :

ههنا يتم تنظيم الحكى عن طريق الرؤية المحايدة الذاتية فى عرض دعوة هود قومه ، ثم تؤول إلى الرؤية المحايدة ، مع عرض ثباتهم على التكذيب ، ومن ثم تعود الرؤية المحايدة الذاتية من جديد تركيزا على تحديد العذاب الذى وقع بهم ﴿ وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقِيلًا وَاذْنَبْتُهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَانَكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) ﴾ .

- قصص صالح عليه السلام :

١ - فى سورة الأعراف :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تعوضها الرؤية المحايدة ، فيتترك الحديث لشخصيات السرد ، تعرض من خلال منظورها الداخلى ما كان من دعوة صالح قومه إلى عبادة الله وتذكر نعمه ، وما جاءهم به من آية بينة شاهدة على صدقه ، وما كان من تكذيب منهم أدى إلى معاقبتهم وإهلاكهم ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ (٧٣) وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ اننَبَّا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَتَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ٤ .

٢ - فى سورة الشعراء :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات السرد ، تركيزاً على تكذيب ثمود ، مع حرص صالح على أن يؤمنوا برسالته ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٤) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩) ٥ .

١٥٩) ﴿ ويلاحظ هنا أن الحكى مؤطر بالرؤية المحايدة ، ومكتف بقوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ عن وصف ما حاق بهم من ألوانه .

٣ - فى سورة النمل :

نفتتح الحكى مع الرؤية الذاتية ، وعرض حال ثمود ، وانقسامهم ، بعد أن أرسل إليهم صالح ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ(٤٥) ﴾ ثم تعوضها الرؤية المحايدة ، فنستمع إلى أصوات الشخصيات فى الحكاية ، ونرى إلى أى مدى وصل العداء بينهم ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٤٦) ﴾ قالوا اطيرنا بك ويمن معك قال طائرهم عند الله بل أنتم قوم تقنون(٤٧) ﴿ وتعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكى ، وتركز على إظهار قدرة الخالق المطلقة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(٤٨) ﴾ قالوا تقاسموا بالله للبيئته وأهله ثم لنقولن لولييه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون(٤٩) ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون(٥٠) ﴿ فأنظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين(٥١) ﴿ فذلك بئوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون(٥٢) ﴿ وأنجينا الذين ءآمنا وكانوا يفتنون(٥٣) ﴿ .

٤ - فى سورة هود :

يؤطر الحكى بالرؤية الذاتية ، ومن خلال الرؤية المحايدة تعرض الأحداث ونسمع أصوات الشخصيات ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ(٦١) ﴾ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا انتهانا أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب(٦٢) (٦٨) ﴿

- قصص لوط عليه السلام :

١ - فى سورة القمر :

من خلال الرؤية الذاتية ، يتم التركيز على ما حاق بقوم لوط من عذاب جزاء تكذيبهم ، وتماديهم فى غيهم ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِيًا إِلَّا عَالَ لُوطٌ نَجَّيْنَاهُمْ يَسْحَرَ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِزِّنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذُرِّ (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِيرٌ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٤٠) ﴾ .

٢ - فى سورة الأعراف :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ودعوة لوط قومه إلى أن يتركوا ما هم عليه من إسراف ، وهم من خلال منظور مقلوب يريدون الخلاص منه ومن آله ؛ لأنهم ، فيما يرون ، أنقياء منزهون عما يتردى فيه القوم من فاحشة ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) ﴾ ومن ثم ، ومع الرؤية الذاتية ، تتكفل الذات الإلهية بإنجاء لوط وأهله ، وإهلاك قومه وامراته ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾ .

٣ - فى سورة الشعراء :

نفتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، وتركيز الحوار على تكذيب قوم لوط لرسولهم مع ما يبذله من جهد فى سبيل هدايتهم ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ

أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) ۞
ومن خلال الرؤية الذاتية يأتي العذاب الواقع بهؤلاء المكذبين الضالين ۞ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) ۞ .

٤ - في سورة هود :

نفنتح هذه الوحدة بالرؤية الذاتية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات ، التي لا تعلن عن نفسها من أول الأمر ، تركيزا على إظهار حال لوط عند مجيء الرسل إليه ، وضيقة بهم ، لمعرفة بأمرة قومه ، وما سيكون منهم تجاه ضيفه ۞ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۞ ومن ثم تتفرد الرؤية الذاتية بعرض أحداث النهاية ۞ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ (٨٣) ۞ .

٥ - في سورة الحجر :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات ، التي تعلن عن نفسها من أول الأمر ، وعن قضاء الأمر بهلاك قوم لوط ۞ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤)

(فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعَ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) (٦٥)
 (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْنَعِينَ) (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
 (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ
 الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) ۞ ومن ثم تتحول الرؤية إلى الذاتية
 ليُعرض من خلالها ما نزل بقوم لوط من عذاب ۞ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)
 (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ) (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤)
 (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) (٧٥) وَإِنَّهَا لَیْسَیْلٌ مُّقِیمٌ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآیَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) ۞ .

٢ - قصص شعيب عليه السلام :

١ - في سورة الأعراف :

نفتتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات شخصيات السرد ، تركيزا على دعوة
 شعيب عليه السلام ، وتكذيب قومه ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمُ
 مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
 تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٨٥) ۞ وتستمر الرؤية
 المحايدة حتى نهاية القصة (٩٣) .

٢ - في سورة الشعراء :

يفتتح الحكى بالرؤية المحايدة ، تركيزا على تكذيب أصحاب الأيكة مع حرص شعيب
 على هدايتهم ۞ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧)

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) ۞ وتستمر الرؤية المحايدة كذلك حتى نهاية القصة (١٨٩) .

٣ - في سورة هود :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، والله تعالى يقص على محمد عليه الصلاة والسلام قصص الأنبياء مع أقوامهم ؛ تثبيتاً لقلبه ۞ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۞ ومن هنا تبدأ الرؤية المحايدة ، مع نقل حوار الشخصيات ۞ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) ۞ وتستمر إلى أن تأتى الخاتمة مع الرؤية الذاتية ۞ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) ۞ .

قصص موسى عليه السلام :

١ - في سورة الأعراف :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، ومقدمة القصة ۞ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ۞ التى تعوضها الرؤية المحايدة ، مع نقل حوار موسى وفرعون ۞ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) ۞ وتستمر الرؤية المحايدة ، مهيمنة ، مع عرض تكذيب فرعون وقومه ۞ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ

فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا
 أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) ۞ (١٢٧)
 (تتخللها الرؤية الذاتية ۞ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون)
 (١١٧) ۞ لعرض الأحداث المعجزة ، التي لا يقدر عليها إلا الله . ومن ثم تعود الرؤية
 المحايدة ۞ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) ۞ وتتجدد الرؤية الذاتية مع تجدد الأحداث التي تتطلب قوة
 متصرفة ۞ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (١٣٠) ۞
 ۞ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذْبُؤُا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا
 الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۞ وبدءا من هنا
 تتشارك الرؤيتان في تقديم أحداث انحراف فطرة بنى إسرائيل ، فتأتى الرؤية متداخلة ، مما
 يساعد في التوجيه النفسى لتلقى هذه الأحداث ۞ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
 بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي
 إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ
 آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ۞ (١٦٨) .

٢- فى سورة طه :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ۞ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ
 امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ
 يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا
 يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ
 أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) ۞ وتستمر الرؤية المحايدة فى اختيار موسى

لِلرَّسَالَةِ ، وَفِي تَذْكِيرِهِ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَفِي إِرسَالِ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ ، وَكَذَلِكَ فِي اسْتِكْبَارِ فِرْعَوْنَ وَتَكْذِيبِهِ ، وَحَتَّى مَعَ تَغْيِيرِ الْأَصْوَاتِ تَظَلُّ الرُّؤْيَا ثَابِتَةً ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) ﴿ وَعِنْدَمَا يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنِ الْخَلْقِ ، وَالْإِمَاتَةِ ، وَالْبَعْثِ فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَتَحَوَّلُ إِلَى الذَّاتِيَةِ ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (٥٣) (كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَآدَمَ فَكَذَّبَ وَتَوَلَّى (٥٦) ﴿ ثُمَّ تَعُودُ الرُّؤْيَا الْمَحَادِدَةُ مِنْ جَدِيدٍ لِنَتَقَلَ الْحوَارِ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَمُوسَى ، وَبَيْنَ مُوسَى وَالسَّحَرَةِ ، وَبَيْنَ السَّحَرَةِ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ (٥٧ - ٧٦) ثُمَّ يَأْتِي إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ مَعْرُوضًا مِنْ مَوْقِعٍ خَارِجِيٍّ ، وَمَنْظُورٍ دَاخِلِيٍّ (رُؤْيَا مَحَادِدَةٍ ذَاتِيَةٍ) ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَبِيدِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (٧٧) فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَوْنَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩) ﴿ وَمِنْ هُنَا تَبْدَأُ الرُّؤْيَا فِي التَّدَاخُلِ ، مَعَ إِنْجَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَمَعَ عَرْضِ التَّوَانِهِمْ ، وَضَلَالِهِمْ (٨٠ - ٩٨)

٣ - فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ :

نَبْدَأُ الْحِكْمَ مَعَ الرُّؤْيَا الْمَحَادِدَةِ ، حَيْثُ يَنْقَلُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قِصَّةَ مُوسَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قَوْمِ فِرْعَوْنَ ، مِنْ خِلَالِ نَقْلِ الْحوَارِ بَيْنَ مُوسَى وَرَبِّهِ ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون (١٢) ﴿ (١٧) وَبَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ ﴿ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) ﴿ (٣٣) وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ

وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(٣٦) ﴿..... (٤٠) وبين فرعون والسحرة ﴿ فَلَمَّا جَاءَ
السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجُزٌ إِنَّا كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ(٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(٤٢)
(٤٢) ﴿..... (٥١) وتأتى الرؤية المحايدة الذاتية لتنتقل خاتمة قصة فرعون ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ(٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(٥٦) ﴿ ومن خلال الرؤية
الذاتية يتم تقديم النهاية الأليمة لفرعون وقومه ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٥٧) وَكُنُوزِ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(٥٩) ﴿ ومن ثم تتداخل الرؤيتان الذاتية ،
والمحايدة لنقل أحداث إهلاك فرعون وقومه ، وتكريم بنى إسرائيل ﴿ فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ(٦٠)
(٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ(٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي
سَيَهْدِينِ(٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ
الْعَظِيمِ(٦٣) وَأَزَلَّوْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ(٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ(٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا
الْآخَرِينَ(٦٦) ﴿ .

٤ - فى سورة القصص :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، وموجز للقصة يقدم بضمير الجماعة ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ
نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا
يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ
عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥) وَلَمَّا كَانَتْ لُهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَلُزِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ(٦) ﴿ ومن ثم تنتقل إلى الرؤية
المحايدة الذاتية ، وعرض جانب من طفولة موسى ، منذ إلقائه فى اليم حتى إعادته إلى أمه
﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا

رَأَوْهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ۖ (١٣) ومن ثم تنتقل إلى مرحلة أخرى من حياة موسى مع الرؤية الذاتية ، واستمرار تدخل الذات الإلهية بالعبادة بموسى ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) ۞ وبعدها يسير الحكى من خلال الرؤية المحايدة ، ليعرض علينا تلك المرحلة الفاصلة ، الانتقال من الطفولة إلى النبوة ، وما فيها من الخروج إلى مدين (١٥ - ٢٩) وتستمر الرؤية المحايدة في نقل اللقاء بين موسى وربّه في الوادى المقدس ، ذلك اللقاء الذى ينتهى به رسولا من الله رب العالمين إلى فرعون وملاه ۞ فَلَمَّا أَنَاهَا ثُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأْمُوسَىٰ إِلَّيَّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ (٣٥) وتستمر الرؤية المحايدة كذلك في نقل الحوار بين موسى وفرعون (٣٦ - ٣٨) إلى أن تأتى الخاتمة المتمثلة في إهلاك فرعون وجنوده ، من خلال الرؤية الذاتية ، التى تتكفل دائما بعرض الأمور العظيمة ۞ وَاسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِنَّمَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) ۞ .

- قصة موسى والعبد الصالح :

يفتتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات ؛ فنحن نبدأ الرحلة إلى مجمع البحرين مع صوت موسى وفتاه منقولا من خلال تقنية الرؤية المحايدة ، ذات الموقع الخارجى ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلُهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ۞ ويستمر السرد على هذا إلى أن تظهر الرؤية الذاتية ۞ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِزِّنَا وَعَلَّمْنَاهُ

مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ۞ وَمِنْ خِلَالِ خُصُوصِيَّةِ هَذَا الْعِلْمِ ، وَتِلْكَ الرَّحْمَةُ سَتَكُونُ أَعْمَالُ الْعَبْدِ
 الصَّالِحِ غَيْرِ الْمُبَرَّرَةِ لِمُوسَى ظَاهِرِيَا ۞ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ
 رُسُلَنَا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)
 (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ
 شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
 لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا
 تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ
 أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
 صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا
 حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
 فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ
 تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ
 وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا
 طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رَحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ
 فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ۞ وَلِهَذَا نَجَدُ
 الْعَبْدَ الصَّالِحَ لَا يَنْسِبُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ لِنَفْسِهِ ۞ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ
 عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ۞ مَتَدَرِّجًا بِالضَّمِيرِ " فَأَرَدْتُ - فَأَرَدْنَا - فَأَرَادَ رَبُّكَ " : ۞ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
 ۞ إِلَى ۞ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ۞ وَأَخِيرًا ۞ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
 رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۞ إِنَّهَا إِرَادَةُ اللَّهِ الَّذِي وَهَبَهُ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ مَا رَأَى بِهِ نَتَائِجَ أَعْمَالِهِ حِينَ فَعَلَهَا .

- قصة يوسف عليه السلام :

نبدأ القصة بالرؤية الذاتية ، حيث يخبر الله عز وجل نبيه محمدا أن القرآن يضم أحسن القصص ، التي لم يكن يعلم شيئا منها من قبل أن ينزل عليه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣) هذه الرؤية تتوزع بعد ذلك في أثناء القصة لتؤدي دورا مهما فيها ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٥) ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢١) ولما بلغ أشده ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٢) ﴿ وَكَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢٤) ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ لُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) ﴿ وَكَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦) ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (١٠٢) إنها كل الأحداث الفاصلة في مجرى القصة ، التي تتحكم فيها قدرة القاهرة ، متصرفة كيف شأنت ... - كلها تعرض من خلال الرؤية الذاتية ، وكلها بضمير الجمع الدال على العظمة .

إننا من أول السرد مع المنظور الداخلي ، سواء من خلال الرؤية الذاتية ؛ أو مع الرؤية المحايدة ، التي تعرض القصة من منظور شخصيات السرد ، اللهم إلا من بعض تعليقات سريعة تظل محتفظة بموقع خارجي ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ (٧) ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (١٦) ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِينَ ﴾ (٢٠) ﴿ وَرَاوَدَتْهُ

قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴿ الشئء الوحيد الفاصل بينهما هو المنظور ، إن كان خارجيا فالرؤية محايدة ، وإن كان داخليا - لفاعل موجود فى السرد - فالرؤية ذاتية .

وللتابع الآن الرؤية السردية للوحدات السردية ، التى تتوزع عليها قصة يوسف عليه السلام :

١ - الرؤيا (٤ - ٦) : يتم تقديمها داخليا بأصوات شخصيات السرد (يوسف الصبى وأبوه) وفيها يتم التركيز - لاعلى الرؤيا نفسها ، التى يحكيها يوسف فى إيجاز شديد لأبيه ، بل - على إخوة يوسف وموقفهم تجاهه ؛ فمن وجهة نظر الأب نرى جانب الكراهية من إخوة يوسف لأى خير يأتية ، وليس ذلك عن أصالة فيهم - حب الأب لأبنائه - بل لأن الشيطان عدو الإنسان الأول لن يترك سبيلا لإيقاع العداوة والحسد من إخوته له إلا سلكه ؛ فخرج بذلك القصد - عن أن يكون كشفا لنفوس إخوة يوسف - لأن يكون كشفا لضعف النفس البشرية بعامة ، أمام غواية الشيطان . وبعد ذلك يتم التركيز على دلالة الرؤيا ، ومن ثم على نعمة الله على يوسف ، وعلى أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق .

٢ - حسد الإخوة (٧ - ١٨) : فى هذه الوحدة المؤطرة بالرؤية المحايدة ، نجد العرض فيها يأتى أساسا بصوت الإخوة أنفسهم ، يفكرون بعقل الشيطان ، ويتحدثون بلسانه ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) ﴾ متوسلين إلى الخير غير المؤكد بالشر المؤكد . وفى هذه الوحدة نجد كذلك قلق الأب على ابنه معروضا بصوت الأب نفسه ﴿ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَلَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) ﴾ ونجد رحمة الله بيوسف ؛ حيث لم يتركه يقاسى وحشة الجب بل

أوحى إليه ما خفف عنه تلك الوحشة ، وكان هذا من خلال الرؤية الذاتية ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(١٥) ۞ فكان كل صوت فى هذه الوحدة قد تكفل
بعرض فعله بنفسه ، فى حيادية سردية .

٣ - يوسف عند عزيز مصر (١٩ - ٢٢) : نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة ، وبداية
التمكين ليوسف فى الأرض ، حيث عثر عليه السيارة ، وباعوه لمصرى زاهدين فيه ،
ونختتمها مع الرؤية الذاتية ؛ تأكيداً لذلك التمكين ۞ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِلْعَلْمَةِ
مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ
ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٢٢) ۞ .

٤ - محنة المراودة (٢٣ - ٣٤) : نبدأ الوحدة الرابعة مع الرؤية المحايدة ، وعرض
تحولات العلاقة بين يوسف وامرأة العزيز من منظور خارجى ، ينتقل إلى الداخل مع صوت
الشخصيات ، لكنه يتحول مرة أخرى إلى الرصد الخارجى للأحداث كما تجرى دون تدخل
۞ وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي
أَحْسَنَ مَتَوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۞
لكن الرؤية تتحول إلى الذاتية التى لا تكتفى بالرصد بل بالوجود الفاعل فى الأحداث ۞
كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤) ۞ وبذلك يتم عرض
وقعة المراودة من الداخل ، ومن الخارج أيضا ، بما لا يدع مجالا للشك فى نقاء يوسف
وبراعته ، وقدر الجهد الذى بذله فى سبيل الحفاظ على طهارته ، مع كل ما لاقى من أغراء ،
وتهديد ؛ ونرى كذلك ضعف الزوج أمام سطوة زوجته وجبروتها ، ونراها هى الأخرى ولا
قائد لها غير أهوائها وشهواتها . كل هذه الصور يتم التركيز عليها من الداخل حين تتكفل
شخصيات السرد بالحكى ، ومن الخارج من خلال الرؤية المحايدة .

٥ - يوسف فى السجن (٣٥ - ٤٩) : نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ويظل العرض داخليا بأصوات الشخصيات على طول الوحدة ، والتركيز هنا على علم يوسف الذى آتاه ربه - تأويل الأحاديث - ومن خلال يوسف ، يجرى التركيز على وحدانية الله ، التى حدث صاحبى سجنه طويلا عنها ، حيث كان بصدد تأويل رؤياهما .

٦ - براءة يوسف ، والتمكين له (٥٠ - ٥٧) : نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات : طلب الملك ليوسف ، وسؤاله النسوة ، واعتراف امرأة العزيز ... ومن ثم تأكيد الملك على طلبه يوسف ؛ يستخلصه لنفسه ، ويجعله - كما أراد يوسف نفسه - على خزائن الأرض ؛ وهنا تأتى الرؤية الذاتية مؤكدة على تمام التمكين ليوسف فى الأرض ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ لُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ .

٧ - قدوم الإخوة (٥٨ - ٨٣) : تبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة ، وقدوم الإخوة ، وتعرف يوسف عليهم وهم له منكرون ، وتظهر أصوات الشخصيات تشارك فى الحكى : طلب يوسف لأخيه ، ومراداة الإخوة أباهم عنه ، ومن ثم اجتماعه بأخيه واستبقاؤه له عنده .

٨ - تأويل الرؤيا (٨٤ - ١٠١) : امتدادا للرؤية المحايدة - فى الوحدة السابقة - تأتى هذه الوحدة الخاتمة ، التى يتعرف فيها الإخوة على أخيهم ويعترفون بخطئهم ، وتجتمع الأسرة كلها : الأحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر يخرون له ساجدين تأويلا للرؤيا التى جعلها الله حقا ، ومن ثم تختتم كما بدأت ، بالرؤية الذاتية ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) ﴾ .

- قصص سليمان عليه السلام :

١ - فى سورة ص :

ههنا يتم الحكى من خلال الرؤية الذاتية ، عن أوابية سليمان ، ومن ثم يتم تقديم تفاصيل تلك الأوابية مشاركة مع الرؤية المحايدة ، ونقل كلام سليمان الذى شغلته ذات مرة مشاهدة الخيل عن ذكر ربه ، فتخلص منها قريى إلى ربه ، ومن ثم كان سؤاله ربه أن يهبه ملكا ؛ فسخر له الريح ، والشياطين بدلا من الصافنات الجياد ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ يُغَيِّرْ حِسَابَ ﴿ (٣٩) وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿ (٤٠) ۞ ونلاحظ هيمنة الرؤية الذاتية ، ودلالاتها على درجة القرب التى بلغها سليمان العبد الأواب .

٢ - فى سورة النمل :

ههنا أيضا نبدأ مع الرؤية الذاتية ، التى تترك الحكى للرؤية المحايدة ومن ثم لشخصيات السرد ؛ تعرض ملك سليمان ، ودوره فى الدعوة إلى الله ، فيأتى المنظور خارجيا ، وداخليا محيطا بجوانب هذا الملك ، وعارضا سلطان سليمان الممتد ، وفى هذا العرض كذلك تشارك أصوات مختلفة : من الجن ، والإنس ، والطير ، والنمل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ أَعْيُنَ مَخْلُوفَاتٍ ۚ إِنَّا كُنَّا بِمَا عَمِلُونَ غَافِلِينَ ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۚ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿ (١٦) ۞ .

٣ - فى سورة سبأ :

ههنا يرد الحديث مرة أخرى عن ملك سليمان الذى خصه الله به ، معروضا من خلال الرؤية الذاتية ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغِ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَذِقُوا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢) (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِجَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) (١٣) ﴿ ثم يتحول موضوع السرد ، من خلال الرؤية ذاتها ، إلى وجهة أخرى ، حين يرد الحديث عن موت سليمان ، وجهل الجن بذلك ، ولبثهم فيما هم فيه من عمل شاق مدة من الدهر ﴿ فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤) .

- قصة ذى القرنين :

وفيهما تهيمن الرؤية الذاتية ، بصورة واضحة ، فالأمر ههنا يختلف ؛ إذ لايتأتى سرد القصة ابتداء ، بل يأتى ردا على سؤال متحد من أهل الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فكان الرد عليهم معروضا جميعه من الداخل ، من خلال تقنية الرؤية الذاتية ، وتلك القوة المتصرفه فى الأحداث بإرادتها ، ووفق مشيئتها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣) ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (٨٤) ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ (٨٥) ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَعْرَبَ الشَّمْسِ﴾ (٩٩) الكهف .

- قصة أصحاب الكهف :

ونجد فيها كذلك هيمنة الرؤية الذاتية ، والسبب هنا هو نفسه في القصة السابقة - قصة ذى القرنين - أن القصة جاءت ردا على سؤال لأهل الكتاب اختبارا لصدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان الرد كاشفا عن قدرة قاهرة متصرفة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ﴾ (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (١٣) فليست قصة أصحاب الكهف ، مع كل ما فيها من عجائب ، بأعجب آيات الله ؛ وتستمر الرؤية الذاتية تعرض من الداخل تلك القدرة ، ويستمر ضمير الجمع الدال على العظمة في توجيه الأحداث : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾ ﴿ زِدْنَاهُمْ ﴾ ﴿ رَبَّنَا ﴾ ﴿ نَقْلِبُهُمْ ﴾ ﴿ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ ﴿ أَعْرَضْنَا ﴾ ... ثم تأتي النقطة الأهم ، في تحديد عددهم ، ومدة لبثهم في الكهف ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُتُبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَابِقُتُهُمْ كُتُبُهُمْ رَجَمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَأْمِنُهُمْ كُتُبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا ثَمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٢٢) فالله هو صاحب الوحي ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠) وهو أعلم بعدتهم على وجه التحديد ، ولكن هذا هو قول أهل الكتاب : ثلاثة - وخمسة - وسبعة رجما بالغيب . كما يرحمون بالغيب كذلك في تحديد مدة لبثهم في الكهف ، والله تعالى وحده يعلم كم لبثوا في كهفهم ﴿ وَلَبِئُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴾ (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦) إنها الرؤية الذاتية تعرض كل هذا عرضا مستقبليا لما سيكون من أهل الكتاب ، والله تعالى يضعه على لسان محمد عليه

الصلاة والسلام - عبده الذى أنزل عليه الكتاب ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا
مِن لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) ﴾ .

- قصة قارون :

يبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تعوضها الرؤية المحايدة - لعرض فتنه قارون بما
أوتى من كنوز - ونستمع إلى حوار الشخصيات ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى قَبْعَى
عَلَيْهِمْ وَعَائِيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَقَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) ﴾ ثم تتفرد الرؤية الذاتية لتعرض هوان قارون وما يملك ،
أمام تلك القدرة : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وتبين أن الفوز فى الآخرة ، لا علاقة له بالجاه والمال ، وإنما
هو فى ترك الكبر والاعتزاز بالحياة الدنيا ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا قِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ .

- قصة أصحاب الجنة :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تجمع فى الاختبار بين كفار مكة وأصحاب الجنة ﴿
إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ تعوضها الرؤية المحايدة الذاتية ، التى يتم استعادة
خبر أصحاب الجنة من خلالها ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرُمْنَهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ (١٨)
(قَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتِ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١)
(أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٢) فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ

عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ۞ وهنا مع الرؤية المحايدة يأتي عرض تلاومهم وندمهم على ما كان منهم ۞ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ۞ وإن مثلهم لكفار مكة ، أنعم الله عليهم بمحمد ورسالته ، فكذبوه وحاربوه .

- قصة ابني آدم :

نفنتح الحكى بالرؤية الذاتية ، والتأكيد على أن ما يذكر هو الحق الذى لا لبس فيه ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ ۞ ثم تأخذ الرؤية المحايدة فى إكمال الحكى ؛ فتعرض فضيلة الخير لدى أحدهما ، وروح الشر المتسلطة على الآخر ، من خلال حكاية القربان المتقبل من أحدهما ، وغير المتقبل من الآخر ۞ قَالَ لِأَقْتُلْكَ قَالَ إِنَّمَا يَنْتَقِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَتِلْكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ۞ ثم يتحول الموضوع المعروض ليصير هو ندم القاتل الذى عجز أن يكون مثل الغراب فيما رأى منه ۞ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ۞ ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكى ۞ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) ۞ .

- قصة صاحب الجنتين :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، ووصف العطاء الجزل الذى أعطيه صاحب الجنتين ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَقَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ۞ ومع أصوات شخصيتى السرد ، ومن خلال الرؤية المحايدة ، تعرض عاقبة حب الدنيا و الاغترار بزينتها ، والكفران بنعمة الله ، وما فى ذلك من خسران مبین فى الدنيا والآخرة ۞ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِثْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبِيهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَاطِقٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلُّ مِثْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) ۞ .

- قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام :

١ - فى سورة مريم :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ﴿ وَاتَّكِرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (١٦) فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) ﴿ تعوضها الرؤية المحايدة ، ونسمع أصوات الشخصيات ، فى الحوار بين مريم والملك ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴾ (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ ﴿ (٢١) ثم فى كلام عيسى لها ﴿ فَتَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ يَجِدُكَ النَّحْلُ تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكَلِمِي وَاشْرِي وَقَرِّي عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) ﴿ مؤكدا لها وقوف قوة قاهرة إلى جانبه ، تؤيده بالمعجزات ، قوة تملك الأشياء ووظائفها ؛ ليسكن قلبها وتطمئن ، حتى إذا أتت به قومها تحمله ، كانت مطمئنة إلى رعاية الله لها ولولدها . وهنا يأتى حوار عيسى وقومه من خلال الرؤية المحايدة ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيًّا (٢٧) يَا اخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) .

٢ - فى سورة الأنبياء :

يأتى الحكى وهنا من خلال الرؤية الذاتية فحسب ﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩١) .

٣ - فى سورة آل عمران :

ههنا تهيمن على القصة تقنية الرؤية المحايدة ، ويقدم لنا الحكى بأصوات الشخصيات ، منذ أن نذرت امرأة عمران ما فى بطنها لله ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥) ﴾ (٣٦) ودخول مريم فى كفالة زكريا ، ورؤيته ما كان منها ﴿ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلَّى فِى الْمِحْرَابِ ﴾ (٤١) واصطفاء مريم ، وتبشيرها بعيسى ، ودعوة عيسى بنى إسرائيل ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(٤٢) ﴾ (٥٤) وتتخللها لقطات سريعة تعرض من خلال الرؤية الذاتية ، تتدخل فيها القدرة الإلهية ، كإخبار محمد أنه لم يكن ليعرف هذه القصة إلا بالوحى ﴿ نَلَيْكَ مِنَ الْنَبَأِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّهُمْ إِيْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٤٤) ﴾ .

— خصائص الرؤية السردية فى القرآن الكريم :

من خلال ما مر بنا ، نعاين هيمنة الرؤية المحايدة على الحكى ، فى القصص القرآنى ، وفى هذه التقنية ، يتم تنظيم الحكى من موقع خارجى ، بينما تُترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل ، مما يعطى انطبعا للمتلقي بصدق ما يتلقى ، حين يجد نفسه مشاركا فى الحكى بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجرى من حوار . تتجلى هذه الرؤية فى وظيفة الدعوة ، من قصص الأنبياء ، وما يصاحبها من جدل التكذيب ، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة ، كعلاقة الرسول بقومه ، ومنهجه فى دعوتهم ، وهدفه

منها وكل هذا يجرى أمام عيني المتلقى من خلال الرؤية المحايدة ، فيرى بموضوعية ، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى ، وأن يجنب كل حكم للهوى ، أو للعادة .

ويظهر كذلك ، وإن بصورة أقل ، تقنية الرؤية الذاتية ، التي تلتحق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة ، ومن خلالها يتم حكي الأحداث الفاصلة في القصص ، والتي تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة ، كالخلق ، وإرسال الرسل ، وإنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين وقد رأينا مثلا في القصص الأول ، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر ، كلها بالرؤية الذاتية ، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين في الدنيا قبل الآخرة ، فلتحذر أمة محمد أن تكذب هي الأخرى بالندير ، فهي أمة كالأمم التي توالى سرد ما حاق بها من عذاب ، ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية الذاتية أثره البين في النفس ، فالمتكلم هو الفاعل ، ولن يكلفه الأمر شيئا : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وشمود وقوم لوط ، وآل فرعون ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ (١٢) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ مُّحْتَضِرٍ (٣١) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) ﴾ .

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة ، وهي تتخلل القصص القرآني ، ومن اسمها فهي تجمع بين الرويتين السابقتين ، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها ، وشكلها الأمثل ، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذي يأتي فاعلا في القصة والسرد على السواء

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهى قليلة وتأتى غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أوفى أعقابها .

والرؤية المحايدة الذاتية ، وهى على عكس السابقة ، تغلب فيها الرؤية المحايدة ، وتتمثل فى نقل معنى الكلام لا نصه ، كما فى قوله تعالى ، فى قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْنَعِينَ ﴾ (٦٦) .

وثم ملاحظة نلفت إليها ، تتمثل فى تداخل الرويات الذى مر بنا فى بعض المواضع فى القصص القرآنى ، مثل ذلك القسم الخاص ببنى إسرائيل ، فى قصص موسى عليه السلام ، من سورتي الأعراف (١٣٨ - ١٦٨) وطه (٨٠ - ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتى بقصد التوجيه النفسى للمتلقى ؛ مما يناسب ما يؤديه هذا القسم من عرض لانحراف بنى إسرائيل وفساد طبيعتهم .

خاتمة

وبعد ، وقد وصل بنا البحث إلى نهايته ، فإننا نستطيع القول إن ثمة ملاحظات توصلنا إليها بحثاً عن الخصائص المميزة للقصص القرآنى ، وفيما يلى نستعيد أهم تلك الخصائص :

أولاً - من خلال دراستنا للمتن القصصى رأينا ، أن هناك قصصا يرد أكثر من مرة فى مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم ، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط ، وأن النوع الأول يأتى فى كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف ، كما رأينا فى قصص : آدم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ... وفيها جميعا ، نجد نواة وظيفية تتكرر ، فيما عدا قصص آدم الذى يمثل مقدمة وسببا فى وجود هذه النواة : نقرأ فى ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٩) ثم نتوالى القصص بعد ذلك : يأتى الهدى من الله ؛ فيتبعه الناجون ، ويكذب به الهالكون . ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التى انبنى عليها جميع القصص التالى :

١ - الدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ - الرفض والاستكبار .

٣ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

هذه البنية تقابلنا فى كل مرة فى القصص المذكور ، تتغير الشخصيات ، بينما تظل وظائفها ثابتة : تظل الدعوة ، ويظل التكذيب ، وتظل العقوبة ... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها ، كلما كانت فترة نسي فيها الإنسان عداوة الشيطان ، ووعيده القديم .

غير أن الهدف الذى تأتى من أجله القصة - من قصص النبى الواحد - يجعلها تختلف ، فى كل مرة ، فى بنيتها الوظيفية فىكون التركيز على وظائف دون غيرها ، ويكون بحضور وظائف

أو غياب أخرى ؛ مما يؤثر في متتالية الوظائف ؛ فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة كما مر بنا من قبل .

وأما القصص مفرد الذكر في القرآن ، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه ، تماسكا منطقيا ، وزمنيا في الوقت ذاته ، بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطى تسلسلي ، غالبا ، وكل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق .

ثانيا - من خلال دراسة البنية الزمنية في القصص القرآني ، رأينا كيف يهيمن المشهد الحوارى على السرد القصصى القرآني . وكيف أنه يتكفل بعرض الأحداث الرئيسية كما رأينا في قصص الأنبياء من أن وظيفتي : الدعوة والتكذيب تأتيان دائما على هيئة مشهد حوارى ، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية في القصص القرآني باعتباره وسيلة من وسائل الدعوة ، وللمشهد الحوارى خصائص تتمثل في التحام الزمن القصصى بالزمن السردي ؛ فيصير بذلك حاضر السرد هو حاضر الأحداث ، ويصبح المتلقى مشاهدا يعاين الأحداث بنفسه ويعيشها لحظة بلحظة . وقد رأينا كيف يتناوب الحذف ، والإيجاز ، والمشهد الوجود فى القصص ؛ الحذف يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصى ، والإيجاز يعرض للأحداث عرضا سريعا مجملا لأهمية ذكرها فى السياق ولكن فى غير تفصيل ، كما فى وظيفة الإهلاك والإنجاء ، فى قصص الأنبياء ، التى تأتى - غالبا - موجزة ؛ فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل ، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة .

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمنى القصة والسرد ، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق ، يهيه نفس المتلقى ، ويوجه توقعاته ، كما رأينا فى قصص آدم عليه السلام ؛ حيث هناك الاستباق الإعلاني الذى يتصدر أكثر القصص ، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين ، وما يلى بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق ، كما رأينا من رفض إبليس

السجود لمخلوق طيني وما كان من نتائج هذا الرفض . وحين تبدأ قصة آدم في سورة طه باستباق داخلي عن نسيان آدم ، فإن السرد يسير على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم . وكما رأينا أيضا في قصص سورة القمر ، التي تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة ، الذي كان دائما تكذيب قوم نبي من الأنبياء .

والاستباق المختلط في القصص القرآني له خصوصيته التي تتمثل في انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل في القيامة ، كما في قصة آدم من سورة طه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى) (١٢٦) ﴿ أو كما نرى في قصة ذي القرنين من سورة الكهف : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ (٩٩) ﴿ .

والاسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني ، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذي يبدأ به أكثر القصص ؛ فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم في قصة هود عليه السلام من سورة هود : ﴿ وَأَنْبِئُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (٦٠) ﴿ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية ؛ وهذا راجع أولا - لطبيعة صاحب الخطاب عز وجل عالم الغيب والشهادة ؛ وثانيا - لطبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة .

وقد لاحظنا أن القصة القرآنية ، لوجودها في فضاء النص القرآني ، تخضع لزمينيتين مختلفتين : تتعلق الأولى بزمان القصة القرآنية ، والثانية بزمان النص القرآني ، زمن القصة الذي يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها ، وزمن النص القرآني الذي يحيط بزمان القصة ، ويحتويه ،

ويمكن أن نعدّه زمنا حاضرا للسرد ، أو زمنا أول ؛ تقاس المفارقات الزمنية الكبرى بالنسبة إليه ؛ فالقصة بكاملها تكون استرجاعا أو استباقا حين تتعلق بهذا الحاضر الزمني للنص ، كما رأينا مثلا في قصة أصحاب الجنة : ﴿ إِنَّا بَلَوْتَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧) ﴾ أو في قصص سورة القمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ وفي غيرها .

ثالثا - من خلال دراسة الصيغة السردية في القصص القرآني ، لاحظنا هيمنة صيغة المنقول المباشر ، على الحكى ، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد ، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص ؛ ففي قصص آدم عليه السلام ، تأتي الوحدة السردية الأولى ، وهي إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم - دائما - في صيغة الخطاب المنقول المباشر ، التي تحمل إلينا حوار الله والملائكة في هذا الشأن ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٠) ﴾ ودائما يأتي الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب ، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ في سور : ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة (٣٠) . يلي هذه الوحدة الواحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التي تأتي بالصيغة نفسها ، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة ، ودائما بالصيغة الواحدة التي لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ في سور : طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة بالصيغة ذاتها ، لتعرض طاعة الملائكة ، واستكبار إبليس ، وامتناعه عن السجود ، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله ، الذي يأتي في صيغة المنقول المباشر ؛ لأهميته الشديدة ، لافي قصة آدم فحسب ، وإنما ، كما قلنا من قبل ، في قصة الحياة بصفة عامة .

وفى قصص الأنبياء ، نجد دائما وظيفتى الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة (المنقول المباشر) بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المسرود . ففى الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ (٦٥) ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ (٧٣) ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ (٨٥) ﴾ الصيغة دائما واحدة ، والدعوة أيضا واحدة . وهذا أيضا ما نجده فى سورة هود ، وفى سورة الشعراء ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) ﴾ ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد فى الصيغة الكلية للدعوة ، بل فى كلمات الدعوة ، يجعلنا وكأننا أمام نبى واحد ، ورسالة واحدة ، وهى كذلك حقا ، وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ البقرة - يتردد ما دامت السماوات والأرض ، وما زال الهدى يأتى من الله ، فمن تبعه نجا وسلم .

رابعا - من خلال دراسة الرؤية السردية فى القصص القرآنى ، نلاحظ هيمنة الرؤية المحايدة على الحكى ، فى القصص القرآنى ، وفى هذه التقنية ، يتم تنظيم الحكى من موقع خارجى ، بينما نترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل ، مما يترك انطبعا لدى المتلقى بصدق ما يتلقى ، حين يجد نفسه مشاركا فى الحكى بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجرى من حوار . تتجلى

هذه الرؤية فى وظيفة الدعوة ، من قصص الأنبياء ، وما يصاحبها من جدل التكنيب ، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة ، كعلاقة الرسول بقومه ، ومنهجه فى دعوتهم ، وهدفه منها وكل هذا يجرى أمام عيني المتلقى من خلال الرؤية المحايدة ، فيرى بموضوعية ، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى ، وأن يجنب كل حكم للهوى ، أو للعادة .

ويظهر كذلك ، وإن بصورة أقل ، تقنية الرؤية الذاتية ، التى تُلحق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة ، ومن خلالها يتم حكي الأحداث الفاصلة فى القصص ، والتى تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة ، كالخلق ، وإرسال الرسل ، وإنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين وقد رأينا مثلاً فى القصص الأول ، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر ، كلها بالرؤية الذاتية ، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين فى الدنيا قبل الآخرة ، فلتحذر أمة محمد أن تكذب هى الأخرى بالندير ، فهى أمة كالأمم التى توالى سرد ما حاق بها من عذاب . ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية الذاتية أثره البين فى النفس ، فالمتكلم هو الفاعل ، ولن يكلفه الأمر شيئا : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وثمود وقوم لوط ، وآل فرعون ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ مُّحْتَضِرٍ (٣١) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) ﴾ .

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة ، وهى تتخلل القصص القرآنى ، ومن اسمها فهى تجمع بين الرؤيتين السابقتين ، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها ، وشكلها الأمل ، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذى يأتى فاعلا فى القصة والسرد على السواء ﴿ وَإِذْ

فَلَنَّا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَاسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝ وَهِيَ قَلِيلَةٌ وَتَأْتِي غَالِبًا
تمهيدا للرؤية المحايدة أوفى أعقابها .

والرؤية المحايدة الذاتية ، وهى على عكس السابقة ، تغلب فيها الرؤية المحايدة ، وتتمثل فى
نقل معنى الكلام لا نصه ، كما فى قوله تعالى ، فى قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ۝
وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْنَعِينَ (٦٦) ۝ .

وثم ملاحظة نلفت إليها ، تتمثل فى تداخل الرويات الذى مر بنا فى بعض المواضع فى
القصص القرآنى ، مثل ذلك القسم الخاص ببنى إسرائيل ، فى قصص موسى عليه السلام ، من
سورتي الأعراف (١٣٨ - ١٦٨) وطه (٨٠ - ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتى بقصد التوجيه النفسى
للمتلقي ؛ مما يناسب ما يؤديه هذ القسم من عرض لانحراف بنى إسرائيل وفساد طبيعتهم .

معجم المصطلحات

التبئير (Focalisation) : وضعه Genette بديلا لمصطلح وجهة النظر تحاشيا لمضمونه البصرى ، مستعيرا إياه من علم الفيزياء ، ويعنى إلقاء الضوء ، من موقع ما ، على نقطة معينة لإبرازها والكشف عنها .

التواتر السردى (Fréquence) : يتمثل فى علاقات التكرار بين القصة والسرد (بين عدد مرات وقوع الحدث فى القصة وعدد مرات روايته فى النص) .

الحذف (Ellipse) : هو أحد الحركات السردية التى تمثل الإيقاع الزمنى ، ويمثل أقصى سرعة يمكن أن يسير بها السرد ، حيث يتخطى أحداثا بكاملها .

الخطاب (Discours) : هو طريقة تقديم القصة .

الخطاب المحول (Discours transposé) : وفيه يقوم السارد بدمج أقوال الشخصيات فى خطابه ، ويعبر عنها بأسلوبه الخاص .

الخطاب المسرود (Discours narrativisé) : هو التقديم الموجز لمحتوى حدث كلامى .

الخطاب المنقول (Discours rapporté) : وفيه يقوم السارد بنقل نص حوار الشخصيات .

الاسترجاع (Analepse) : هو استحضار أحداث ماضية ، لإضاءة جوانب مهمة في حاضر السرد .

الرؤية مع (Vision Avec) : وهنا تتساوى معرفة الراوى بمعرفة الشخصيات الروائية في تقديم الأحداث .

الرؤية من الخارج (Vision du dehors) : وهنا تكون معرفة الراوى أقل من معرفة الشخصية الروائية .

الرؤية من الخلف (Vision par derrière) هنا تكون معرفة الراوى كلية (الراوى العليم ، الذى يعرف كل شىء عن شخصياته) .

الاستباق (Prolepse) : هو استحضار أحداث لاحقة ، إعدادا للمتلقى لتوجه معين ستأخذه الأحداث فيما بعد .

السرد القصصى (Récit) : هو الخطاب الشفاهى أو المكتوب الذى يقدم القصة .

سعة المفارقة (Amplitude) : هى المدة التى تستغرقها المفارقة الزمنية .

الشعرية (Poétique) : هى النظرية العامة للأشكال الأدبية . وهدفها معرفة القوانين التى تنظم ولادة العمل الأدبى وتسمه بسمات نوعية خاصة ، ومن هنا فهى لا تهتم بالعمل الأدبى وإنما بأدبية هذا العمل .

الصيغة (Mode) : تعنى الشكل الذى ينتظم فيه الخبر السردى .

علم السرد (Narratologie) : مصطلح وضعه T. Todorov عام ١٩٦٩ ، وهو علم يهتم بمكونات البنية السردية .

القصة (Histoire) : هي مجموع الأحداث المحكية بواسطة سرد ما .

المجمل (Sommaire) : من حركات الإيقاع الزمنى ، وفيه تعرض الأحداث موجزة دون تفاصيل .

مدى المفارقة (Portée) : هي المسافة التى تقطعها المفارقة الزمنية بعيدا عن حاضر الإنجاز السردى .

المشهد (Scène) : من حركات الإيقاع الزمنى ، ويأتى غالبا على هيئة حوار ، وفيه تُترك الأحداث تتوالى بنفسها دون تدخل السارد .

المفارقات الزمنية (Anachronies) : هي أشكال التنافر المختلفة بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية .

الوظائف (Fonction) : مصطلح اقترحه بروب ليعبر عن فعل شخصية ما محددا من وجهة نظر دلالاته داخل جريان الحكاية .

الوقفة الوصفية (Pause) : من حركات الإيقاع الزمنى ، وتمثل السرعة الدنيا التى يمكن أن يسير بها سرد ما .

المصادر والمراجع

أولا - القرآن الكريم .

ثانيا - الكتب العربية والمترجمة :

ابن الأثير : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٩ .

أمينة رشيد : تشظى الزمن فى الرواية الحديثة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ .

بيرسى لبوك : صناعة الرواية . ترجمة عبد الستار جواد ، دار الرشيد للنشر ، ط١ ، ١٩٨١ .

تزفيتان تودوروف : الأدب والدلالة . ترجمة محمد نديم خشفة ، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٦ .

جيرار جنيت : خطاب الحكاية ، بحث فى المنهج . ترجمة : محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدي ، وعمر حلى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧ .

حازم القرطاجنى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء . تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ .

روجر هينكل : قراءة الرواية . ترجمة صلاح رزق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥ .

الزركشى : البرهان فى علوم القرآن . تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٧.

زكريا إبراهيم : مشكلة البنية . طبع مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائى . المركز الثقافى العربى ، ط١، ١٩٨٩.

سيزا قاسم : بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن . دار الشروق ، ط١١، ١٩٨٨ .

الشكلانيون الروس : نظرية المنهج الشكلى . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٢.

شلوميت ريمون كنعان : التخيل القصصى : الشعرية المعاصرة . ترجمة لحسن أحمامة ، دار الثقافة (الدار البيضاء) ط١ ١٩٩٥.

صلاح فضل : أساليب السرد فى الرواية العربية . القاهرة ، ١٩٩٥ .

: بلاغة الخطاب وعلم النص . الكويت ، ١٩٩٢.

ابن كثير : قصص الأنبياء ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٨١.

محمد سويرتى : النقد البنيوي والنص الروائى . الدار البيضاء ١٩٩١ .

محمد عبد المطلب : البلاغة العربية ، قراءة أخرى . القاهرة ، لونجمان ، ط ١ ، ١٩٩٧ .

: مناورات الشعرية . دار الشروق ، ط ١ ، ١٩٩٦ .

: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى . القاهرة ، لونجمان ، ط ١ ، ١٩٩٥ .

محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث . دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

نبيلة إبراهيم سالم : نقد الرواية ، من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة . النادى الأدبى ، الرياض ١٩٨٠ .

أبو هلال العسكرى : كتاب الصناعتين . تحقيق : على محمد البجاوى ، ومحمد أبى الفضل إبراهيم ، بيروت ، ١٩٨٦ .

يمنى العيد : تقنيات السرد الروائى ، فى ضوء المنهج البنيوى . دار الفارابى ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ .

يوسف حسن نوفل : الفن القصصى بين جيلى طه حسين ونجيب محفوظ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

: فى القصة العربية . كتابات نقدية ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

ثالثا - الكتب الأجنبية :

- Gérard Genette : Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972
: Nouveau discours du récit, éd. du Seuil, coll.
Poétique, 1983 .
- Jean-Michel Adam : Le récit, Paris, Que sais-je, 1999 .
- Jean Pouillon : Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993 .
- Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer : Nouveau dictionnaire
Encyclopédique des science du langage, Paris, éd.
du Seuil, coll. Points, 1995 .
- Roman Jakobson : Huit questions de poétique, tr. Fr. Paris, Ed. du
Seuil, coll. Points, 1977 .
- Tzvetan Todorov : Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2,
Poétique, Paris, Ed. du Seuil, Coll. Points, 1968 .
- Vincent Jouve : La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.
- Vladimir Propp : Morphologie du conte, Traduction française,
Paris, Ed. du Seuil, coll. Points, 1970 .
- Yves Reuter : introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod,
1996 .

رابعاً - الدوريات العربية :

بول بيرون : السردية ، حدود المفهوم . ترجمة عبد الله إبراهيم ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد الثاني ، السنة ١٢ ، ١٩٩٢ .

جان ايف تادييه : الشكليون الروس . ترجمة قاسم المقداد ، مجلة المعرفة ، سوريا ، السنة ٣٠ ، العدد ٣٣٢ مايو ١٩٩١ .

روجر سلفرستون : في السرد (من وجهة نظر بروب وغريماس وليفى شتراوس)
ترجمة كاظم سعد الدين ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد الثاني ، السنة ١٢
١٩٩٢ .

عبد العالى بوطيب : إشكالية الزمن فى النص السردى . مجلة فصول العدد الثاني ،
المجلد الثاني عشر ، ١٩٩٣ .

علوط محمد : التواتر السردى فى الخطاب الروائى . مجلة الكرمل ، العدد ٢٨ ،
١٩٨٨ .

محمد عبد المطلب : تداخلات الرؤية والسرد والمكان فى رواية هالة البدرى " منتهى"
مجلة فصول العدد الرابع " خصوصية الرواية العربية ج٢ " ١٩٩٨ .

ميشيل فوكو : البنيوية والتحليل الأدبى . ترجمة محمد الخماسى ، مجلة العرب والفكر
العالمى ، بيروت ١٩٨٨ .

ويليام هاندى : نحو نقد شكلى للرواية . ترجمة عيسى العاكوب ، مجلة شئون أدبية ،
السنة الثانية ، العدد ٦ ، الإمارات ١٩٨٨ .

خامسا - الدوريات الأجنبية :

Mieke Bal : Narration et focalisation, pour une théorie des instance
du récit, Poétique n°29.éd. du Seuil, Paris, 1977 .

Roland Barthes : Introduction à L'analyse structurale des récits ,
Communications n°8, éd .du Seuil, coll.Points,1981

Pierre Vitoux : Le jeu de la focalisation, Poétique n° 51. Paris, éd.du
Seuil, 1982 .

Tzvetan Todorov : Les catégories du récit Littéraire, Communicati-
-ons n°8, éd . du Seuil, coll. Points, 1981 .

فهرس

مقدمة	٥
تمهيد	٩

١ - القصة القرآنية بوصفها متنا حكايا :

١٨ - البنية الوظيفية

قصص آدم عليه السلام : ١٨ - قصص نوح عليه السلام : ٢٣ - قصص هود عليه السلام : ٢٧ - قصص صالح عليه السلام : ٣٠ - قصص لوط عليه السلام : ٣٢ - قصص شعيب عليه السلام : ٣٦ - قصص موسى عليه السلام : ٣٧ - قصة يوسف عليه السلام : ٤١ - قصص سليمان عليه السلام : ٤٢ - قصة أصحاب الكهف : ٤٥ - قصة قارون : ٤٥ - قصة أصحاب الجنة : ٤٦ - قصة ابني آدم : ٤٦ - قصة صاحب الجنتين : ٤٧ - قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام : ٤٨ .

٥٠ - خصائص المتن القصصى فى القرآن الكريم

٥٢ - شخصيات السرد

فى قصص آدم عليه السلام : ٥٢ - فى قصص نوح عليه السلام : ٥٤ - فى قصص هود عليه السلام : ٥٧ - فى قصص صالح عليه السلام : ٥٨ - فى قصص لوط عليه السلام : ٥٩ - فى قصص شعيب عليه السلام : ٦١ - فى قصص موسى عليه السلام : ٦٢ - فى قصة يوسف عليه السلام : ٦٧ - فى قصص سليمان عليه السلام : ٦٩ - فى قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام : ٧١ - فى قصة قارون : ٧٣ .

٢ - القصة القرآنية بوصفها خطاباً سردياً :

- تقديم نظرى : ٧٦ - قصص آدم عليه السلام : ٨٢ - قصص نوح عليه السلام : ٨٨ -
 قصص هود عليه السلام : ٩١ - قصص صالح عليه السلام : ٩٣ - قصص لوط عليه
 السلام : ٩٥ - قصص شعيب عليه السلام : ٩٨ - قصص موسى عليه السلام : ١٠٠ -
 قصة يوسف عليه السلام : ١٠٧ - قصة قارون : ١١٠ - قصص سليمان عليه
 السلام : ١١١ - قصة أصحاب الكهف : ١١٣ - قصة صاحب الجنيتين : ١١٤ -
 قصة أصحاب الجنة : ١١٥ - قصة ابنى آدم : ١١٦ .

- تقديم نظرى : ١٢١ - قصص آدم عليه السلام : ١٢٦ - قصص نوح عليه السلام :
 ١٣٣ - قصص هود عليه السلام : ١٣٦ - قصص صالح عليه السلام : ١٣٧ -
 قصص لوط عليه السلام : ١٣٩ - قصص شعيب عليه السلام : ١٤٠ - قصص
 موسى عليه السلام : ١٤١ - قصة يوسف عليه السلام : ١٤٤ - قصة قارون : ١٤٧ -
 قصص سليمان عليه السلام : ١٤٨ - قصة ابنى آدم : ١٥١ - قصة ذى القرنين :
 ١٥٢ - قصة عيسى ابن مريم : ١٥٣ - قصة أصحاب الجنة : ١٥٥ - قصة أصحاب
 الكهف : ١٥٥ - قصة صاحب الجنيتين : ١٥٧ .

١٦٠ - الرؤية السردية

تقديم نظري : ١٦٠ - قصص آدم عليه السلام : ١٦٧ - قصص نوح عليه السلام :
١٧٣ - قصص هود عليه السلام : ١٧٧ - قصص صالح عليه السلام : ١٧٩ -
قصص لوط عليه السلام : ١٨١ - قصص شعيب عليه السلام : ١٨٤ - قصص
موسى عليه السلام : ١٨٥ - قصة يوسف عليه السلام : ١٩٠ - قصة قارون : قصص
سليمان عليه السلام : ١٩٥ - قصة ذي القرنين : ١٩٦ - قصة أصحاب الكهف : ١٩٧
- قصة قارون : ١٩٨ - قصة ابني آدم : ١٩٩ - قصة صاحب الجنين : ٢٠٠ - قصة
عيسى ابن مريم عليهما السلام : ٢٠١ .

٢٠٣ - خصائص الرؤية السردية في القرآن الكريم

٢٠٥	خاتمة
٢١٢	معجم المصطلحات
٢١٥	مصادر البحث



